علي أحمد باكثير



في بلاد الأحقاف

مسرحية شعرية

89

همّــام

فى بلاد الأحقاف

همّام

فى بلاد الأحقاف

مسرحية شعرية

نظم

علي أحمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

مُقَدمَة المـؤلف

هذه المسرحية الشعرية التي استوحيت موضوعها من الحيـاة الاجتماعيـة بحضرموت ، وكتبتها وأنا بمدينة الطائف ثم نشرتها بالقاهرة سنة ١٩٣٤ ، كانت أول تجربة لي في الكتابة للمسرح ، وكـان لهـا صداهـا في الأوسـاط الحضرمية منذ ثلاثين عامًا !

وقد تقدم إليّ الأخ الأديب الفاضل الأستاذ علي محمـد الصبـان مقترحـا إعادة طبعها ، ليتاح للأجيال الحضرمية الجديدة الاطلاع عليها ، باعتبارهـا وثيقة أدبية لمرحلة من مراحل التطور في حيـاة المجتمـع الحضرمـي ، فرافقتـه على ذلك ، شاكرًا له جميل اقتراحه ، راجيًـا لـه التوفيـق فيمـا يتوخـاه مـن خدمة أمتنا العربية .

المؤلـف
علـي أحمـد باكثير

القاهـــرة
٦ ربيع الثاني ١٣٨٥
٣ أغســطس ١٩٦٥

تصديـــــر

بقلم الشاعر الكبير الأستاذ النقادة

حسن كامل الصيرفي

ناظم هذه الدرامة الشعرية أديب حضرمي يحمل بين جنبيه قلبا خفاقًا ينزع إلى الحرية .. ويصبو إلى رحابها الواسعة المترامية الأكناف ، ولهذه الرغبة نراه يطوي الأنجاد والوهاد ويركب متون البحار حتى يبلغ أرض الكنانة ، رسولا من مستقبل حضرموت إلى حاضر مصر ، لينقل إلى وطنه قبساً من نور بهيّ .

هو شعلة من الحياة التي تعرف حقها من الوجود الذي يأبى الركود ، ولهذا تجددت فيه الروح الناهضة ، التي أوحت إليه بهذه الدرامة .

هو شاب مخلص لوطنه كل الإخلاص ، فإذا كان ثائرا على حالة وطنه الراهنة ، فإنما هذه الثورة عين الإخلاص .. وما ثورته إلا الرغبة في الإصلاح.

تلمح في درامته صورا سريعة العرض تمثل ذلك القطر الشقيق رازحًا تحت أعباء ثقيلة من بدع متوارثة ، خلفتها عصور مظلمة ، وسياسة غريبة

عجيبة ، تتحكم في مصير شعب ضعيف خدرته بالعقائد والأوهام ، فسيرته في سبلها طائعا طاعة عمياء ، وليس أقدر من العقائد على أسر النفوس التي تضعها الفطرة في دائرة محدودة ، وتسهل تفكيرها ، وتقصر مدى نظرتها . فهناك فئة من الناس تتزعم الحياة الاجتماعية وتسيطر على الناس بتهويشها وخداعها ، وقد عرضت الدرامة صورا لها ساخرة منها هذه الأبيات :

وليُّ الله ذو الجبــــــــو ة والأرديـــــة الخضـــــر
وذو المســـــواك في العمـــــة قــــد أربـــى علـــى الشـــبرِ
ورب الســـبحة الغـــــارق في التســـــبيح والذكـــــر
بهـــــــا يذكـــــر في النـــاس ولا يذكـــــر في الســـرِّ

يرجع ناظم هـذه الدرامـة جهـل شعبه إلى جهـل المـرأة ، فهـو يريدهـا متعلمة كشقيقاتها الشرقيات اللاتي عرفن مكانتهن من شعوبهن ، فنهضـن يطلبن حقوقهن ، فكان لتلك النهضة أثرها في شعوبهن .

وبطل درامته (الشاعر المصلح) الذي جعله المؤلف شابًا مجددا يسـخط على المسيطرين بخداعهم وأضاليلهم علـى عقـول الشـعب ، ويحـاول جهـد استطاعته بث أفكار جديدة في بيئته فـلا يلاقـي إلا عنتـا ، ولا يوصـف إلا بالكفر والإلحاد .

هذا البطل يجتهد أن يوصل أفكاره إلى الشـعب عـن طريـق المـرأة ، لأن المرأة كما يقول المؤلف على لسان سيدة من أشخاص درامته :

صاحبات الزمان نحنُ .... حياة الناس فيه والموت في أيدينا !

وهذا البطل موزّع القلب والفكر بين حبين قاسيين .. حب لوطنه ورغبة في تحريره من الأوهام وترقيته إلى مصاف البلاد الراقية ، وحب لفتاة تملك عليه شعاب قلبه .

وبين هذه الحياة المضطربة من صدمات عنيفة ، ومن جحود وإنكار ، ومن قلق وكفاح ، ومن رغبة وخفوق ، يرينا المؤلف صورًا من الحياة الاجتماعية في عاصمة الأحقاف ، كل ذلك في أسلوب طلي بسيط .

على أن المؤلف – بالرغم من هذه الثورة المضطرمة في نفسه – لم يزل يرفق ببيئته ، فهو يلطف من حدة أفكاره بألفاظ قريبة إلى روح الشعب ، فيها من إطفاء الغضبة ما يمنع سخط الساخطين وحنقهم . وله الحق في ذلك فهو يلجأ إلى مثل تلك الألفاظ لكي يستطيع بث آرائه وأفكاره .

وأرى أنه لو ختم درامته بغير ما خُتمت به لكان ذلك أشد وقعًا وأجلّ أثرًا ؛ فلقد كان يجدر به أن يختتمها بالحياة لا بالموت . وبعد فأتمنى له حين يعود إلى وطنه فيقوم بهذا الدور ، ويبث فيه الأفكار النافعة والآراء الصائبة ما تمتلئ به روحه ويزخر به إيمانه ، وأن يجعل الله خاتمة دوره الظفر والنصر وتحقيق الأماني .

القاهرة ٢٩ صفر ١٣٥٣ – ١٢ يونية ١٩٣٤

حسن كامل الصيرفي

الإهـــــــداء

إلى مصدر الوحي الأول !

إلى ملاكي الجميل الذي سبقني إلى عالم الخلود ، وكلما ذكرته أوحى إليّ !

وإلى الشعب الحضرمي الذي أحبه وأعيش من أجله ، أهدي :

هذه الأقصوصة

كذكرى خالدة للأول ،

وذكرى نافعة للثاني .

علي أحمد باكثير

تمهـــيد

مكان الرواية : مدينة (سيوون) عاصمة حضرموت الداخل

زمن الرواية : العصر الحاضر

أشخاص الرواية :

همـــــام ـ بطل الرواية

حُســـــن ـ حبيبة همام

محمـــــد ـ صديق همام ونصيره في المبدأ

علويـــــة ـ نصيرة وحبيبة محمد

زهـــراء ـ أخت همام

خديجـــة ـ أم حُسن

شـــهاب ـ عم حُسن ووكيل أبيها

ولـــي الله ـ خرافي دجال يتجر بدينه

ســـالم ـ صديق محمد

الأمـــير أمجـــد ـ أمير البلاد

بكـــــر ـ غني يطلب يد حُسن

الشخصية	الوصف
أحمـــــــد	جماعة من الأدباء
عقيـــــــل	
ابـــن عيســـى	
عبد اللّٰه المغني	
عـــــــامر	ـــ بدوي رافق هماما في طريقه إلى الساحل
ناهيـــــــة	أخوات عامر البدوي
ســـــــعدى	
لبنــــــى	
نكرات مسرحية	ـــ رجال وشيوخ ونساء ووصائف ومغنيات

الفصـــل الأول

« غرفة متوسطة السعة على جوانبها خزائن مملـوءة بـالكتب، مفـروش جانب منها بسجاد رومي ثمين ، وعلى الجانب الثاني منضدة صغيرة عليهـا أدوات الكتابة يحيط بها خمسة كراسي بسيطة . ويظهر همـام في الجـانب المفروش من الغرفة متمددًا واهي الأركان ، يئن أنينًا خفيًا يشبه الغمغمة . تدخل عليه زهراء فتعرف ما به وتتجاهل فتسأل » :

المشهـــــد الأول

زهراء : أخي ما بـك اليـومَ ؟ إنـي أرا ك قليـلَ النشـاطِ كثـير الضجـرْ
أأنـت مريضٌ وُقيـت الشُّـرو ر ، وبلغـك الله طـولَ العُمُـر

هُمـام : أى إنَّ بـي مرضـاً في الفـؤا د يـا زَهْـرُ يُنذِرنـي بـالخطر
ولا تجهلـين مـاذا بصِنـو كِ مما بـدا منـه أو مـا استتر
فماذا وراءكِ ؟ هل من جديـ ـد يخفِّف من وجديَ المستعِر ؟

زهراء : أخي لا تَخفْ في الهوى أن تخيـ ـبَ؛ وهل يجهلُ الناسُ فضلَ القمر؟
ولا تجعلـنَّ ليـأسِ إليـكَ سبيلا ففـي اليأس فـوتُ الوطـر
أييـأسُ مثلـكَ وهـو الرَّحيـح في الكِفَـفِ الشّـائلاتِ الأخَـر؟
فـأحرى بغـيرك أن يسـتريحَ إلى اليـأس . لا بـدَّ أن تنتصِـر
كـأنّي بحُسْـنٍ تُـزَفُّ إليـكَ عروسـاً تلـمُّ ذيـولَ الخفـر
تُحيـط بهـا الغانِيـاتُ الحسـا نُ كالبـدرِ بين النجـوم الزهـرْ

كـأنيّ بأبياتِنا قد غدتْ تُصفّق بـالفرَح المزدهِر
وأنتَ عروسٌ تُحيِّي الوفو دَ وتخطُر بين صفوف الزُّمَر

هُمام : أزهراء لا عَدِمَتْكِ الديا رُ ، حديثُك يقشع عني الكدر
لأنتِ العزاء إذا ما أتيتِ وأنتِ الهناء وأنتِ الحَبَرْ (١)
فأين الكتابُ ؟ أما تقرئينَ ؟

زهراء : بلى ! ذا الكتاب معي قد حضر
كتاب كريمٌ خليق به بأن يكتبوه بنور البَصَرْ
«بلوغ المرام» و«سُبُل السلا م» عليه تُحَجَّل منه الغُرَرْ
أحاديثُ طه وآيُ الكتا ب تلألَؤُ فيها خِلالَ السَّطر
وأقوال مُجتهدي الصحب والأئمّـ ـةِ من كل حِبْرٍ أبر
فيأخذُ منها الفتى ما صفا ويترك منها الفتى ما كَدَرْ
ومَنْ لاذَ مِن بعدها بالهوى فإن الجحيمَ هي المستَقَرْ

« يتبسم همام إعجابًا بهذه الروح الإصلاحية التي وفق لبدرها في نفس أخته . وتعرف هي أن في مثل هذا الحديث تسلية له وتهدئة لأفكاره المضطربة فتطّرد في حديثها » :

فلا سَلِمت كُتُب الجامدينَ ولا فاز قارئها بالوطر
صَحائفُ لا روحَ فيها ولا يَجول بها ذكرُ خير البَشر
يُصوِّر فيها مُحالُ الأمو رِ ، ويُترك فيها مُهِمُّ الصُّور !
فتلك الجواهر أين الرّما لُ منها وأين خسيس الحجر ؟

---

(١) الحبر : السرور

« يستولى على همام الانبساط ويأمر أخته بالقراءة فتقرأ فصلاً من الكتاب يقول لها بعد الانتهاء »

صار فرضًا عليك أن تنشُرى هـــ ـــذا الهـدى فى جماعة النسـوان
فهُدى الشّعبِ من هـدى أُمّهـــ ـات الشعب فى كل موطـن وزمـان
وبناتُ الأحقافِ أولى بأن يحذِقـ ـن شتّى العلـوم والعرفـان
وبـأن يَـطْهـرنَ مـن لَـوَ ثِ الأوهـام ممـا يخلُّ بالإيمـان
فيريـن الحياةَ مـن غير معـنىً غيـر تـلك الحيـاة وهـى معانى !

زهـراء : لِتَطب يـا همـامُ نفسًا فمـا تـر جـو سأسْعى فيـه بغـيرتوان
ولـقد سرَّنى استمـاعُ صديقا تى لقـولى وقْدرهُـن مـكانـى

هُـمـام : بـارك اللّه فى الصِّغـار ففيهـنَّ قَبـولٌ للحـق إمَّـا دُعينـا
إنّمـا الشّرُّ فـى العجـائز يجمُد نَّ جُمود الحصى فلايهتدينا !

زهـراء : نحن بـالأمس ثُلّةٌ ضمنا مجلسُ عُـرس فـى بيـت جـار أبينـا
ولدينا شريفةُ جمعَـتْ حُسـنًا ولطفًـا جمًّـا وعقـلاً رصينـا
سمِعَتْنى ـ ولستُ أعرفها ـ أُلــ ـقى على الحاضرات درسًا مبينا
سُقْتُ من أخبار الشـهيراتِ فـى الإسلام مـا ردّهـن لى يُصغينـا
شـاقهن الحديث عـن سيّداتٍ فقْن بعضَ الرجـال علما ودينـا
ثـم حرّضتهُـن أن يتشـبّهن بتلـك الشـموس أو يقتدينـا
قـلتُ لـيس الرجالُ أولى بكسـ ـب العلم منا فإننا مُستوونا
ومـن العلـم مـا يُعرِّفنـا الديـن ومنه مـا سـدّ فإننـا مُستوونا
وأهـم الأمـور تربيـةُ الأو لاد كـى ينشـأوا مـن العاملينـا
صاحباتُ الزمان نحن ! حياة النـ ـناس فيـه والموتُ فـى أيدينـا !
إن نـشأ فـالورى بنـا سُعداء وشـقاءٌ حيـاتهـم إن شِينـا

فعلينـــا لربنـــا واجبـــاتٌ ليس نبرا مـن إثمهـا مـا بقينـا
كيـف نستطيعُ بالجهالـةِ يومـا أن نـؤدي أمانـة الله فينـا ؟
صِحْـنَ في أسماع الرجـال : أليـ ـس العلم فرضًا على النساء مبينا؟
فيم غـادرتُم البنات على جهـل وقمتـم تعلّمـون البنينـا ؟
هـل أقمتـم مدارسًـا للواتـي إذ أقمتـم مدارسًـا للذينـا ؟

* * *

فتدنـت تلـك الشّـريفة مـني وحَبَتْـني مـن الثنـاء فنونـا
ثـم قـالت : عمّـن تلقَيـتِ هـذا ؟ قلت عـن صِنْويَ الـذي تعرفينـا
عن همـامٍ . قـالت همـام أضحـى بحُسْـنِ بـين الـورى مفتونـا ؟
والـذي يذكـرون عنـه ابتداعًـا بئس هـذا الـورى ومـا يَفترونـا !
إنني قد أنسـتُ مـن قولـك السّـا لـفِ روحـًا فيّاضـة ويقينـا
فتسـاءلتُ مَـن يكونُ الـذي لقّـ ـنَ هـذي الهُـدى تلقينـا ؟
فذَكَـرْتِ امـرءًا جُعلـتُ فِـدا هُ دونَ مـا عابَـهُ بـه الجاهلونـا !
ليتني أسـتطيع أن أتلقّى عنـ ـه شيئًا ! أنّي لِـذا أن يكونـا
قُلـت : نفسي فـداكِ يـا ابنـة طـه أنتـم آلُ بيتـه الأكرمونـا
ليس بِدعًـا أن تنصـروا سنـ ـةَ الهـادي بنصرهـا قمِنونـا
إنما البـدعُ أن يكـون بنـو المخـ ـتار عـن هديـه مـن الناكبينـا !
غير أن مـا رأيتُ مثلـكِ في نسـ ـوة «سَبُّوُونَ» تعشقُ المصلحينا
إن سرًّا في الأمـر يَحْسُـنُ لـو أد ريـه ، قـالت يَسـرُّني أن يَبينـا
نحن من بيت سادةٍ يكرهُ الدجـ ـل ويأبـى من الأمـور الدُّونا

جدُّنــا الأكــبر الشريف « عقيــل »
ســنَّ نهــج الهــدى لنا ما حيينــا
عنــدنا من آثــاره « سيفهُ المســلُو
ل » يَفْــري أوهامهــم والظنونــا

* * *

بلعــى عــني الســلام هماماً ورجــائي إيــاه في الناجحينــا
وغــداً نلتقي ويحرســك الرحمــ ــنُ قلت الرحمن يبقيــك فينــا

همــام : بــارك الله فيــك ! هــذى فتــاة من سَليل الأفــاضل الأطهرينــا
جدُّهــا كــان في الحجــاز منــاراً للمعــالي يَؤمُّــه الطالبونــا
ذبَّ عــن ســنّةِ النــبي ولاقــى مــن بــني قومــه أذًى وفنونــا
رَبِّ آمنــتُ بالوزراتــةِ ! أنــتَ الله أرســلتها لنــا قانونــا
هــذه روح جدّهــا ، ربِّ وفّقــ ــها وآزر بســعيها النّاهضينــا

« يلتفت إلى زهراء مسائلاً » :

ألديهــا زوجٌ ؟

زهراء : قضى زوجُها النحــ ــب صغيراً لم يبلغ العشرينا !
وقضــى قبــل زوجهــا أبواهــا فهي ثكلى تَعيش عيشاً حزينــا
خبرتني عنها سعيدة إذ كــانت قــد استُخْدِمتْ لديهــم ســنينا

همــام : مَــن يليهــا إذن ؟

زهراء : شــقيق أبيــه عالهــا رغــم كونــه مســكينا

همــام : ذكّرينــا لكــي نواســيَه القَيْــ ــنة بعــد الأخــرى .

زهراء أصــبت قمــينا

همـــام : لم تَجدْ بعد زوجهـا خاطبًا ؟

زهراء : لا .

همـــام : أو ليست حُسْنا كمـا تذكرينا ؟

زهراء : بـل هـي الحُسن كلُّـه ـــ عَلِـمَ اللهُ ـ متاع الرائـين والسـامعينا !

همـــام : غير أن الشَّبابَ في هـذه الأنحــ ـــاء بالحسـن ليـس يَحْتفلونـا

إنمـا ينظـرون للمـالِ فالمـا ل هـو الزوجـةُ الـتي يخطبونـا

ويَـرَوْنَ الكمـالَ في ذات أمٍ لا يُـرَى زوجُ بنتهـا مغبونـا

تتوخـى رضـاهُ في كـل حـين فتريـه مـن الطعـام فنونـا

فكأن لم يكن لديهم من الحبِّ سوى مـا يسـدُّ منهـم بطونـا

المشهـد الثانـي

« في القاعة الكبرى للمدرسـة حيـث تقـام الحفلـة السـنوية وقد حضر إليها النـاس مـن كـل الطبقـات ليشـاهدوا التلامـذة ويسمعوا خطبهم ومحاوراتهم .

التلاميذ في وسط القاعة متميزين عن الناس والناس محيطـون بهم . همام يقوم بعد فراغ التلاميذ ويعتلي منصة الخطابة » .

يـا بـني مدرسـتي إنـى لكـم نـاصحٌ يصفيكـم النُصـحَ أمـين

لَبنـاتُ الشّـعب أنتـم فليكـن كلُّهـا مـن ذلـك الصّلـب المتـين

إنَّ برنامـــجَ تدريسِـــكُمْ ليس برنامـــج قـــومٍ مرتقـين

تُرهِقون النشءَ بالحفظ فمِن حفظ تقريرٍ إلى حفظِ متون
ليس في ذاكمْ لهم من صالحٍ إنه يقتل فهمَ الناشئين
فدعوا الحشو وربُّوا فيهم ملكات الحذق في كل الفنون
استقوا التوحيدَ من ينبوعه وانبذوا كتب الصفات الأربعين
لا تريد النفس إلا حيرةً لا كأسلوب الكتاب المستبين
لم تؤلف لكم هاتيك ، بل ألفوها لحِجَاج الملحدين
واقصدوا في الفقه لا يأخذكم ليس في الفقه غذاء الناهضين !!

« أحد الشيوخ يقوم ويحاول تسكيت همام ويصيح » :

يا عبادَ اللّهِ ! هذا مارقٌ ينـدب الناس إلى دينٍ جديد
أسكتوه أسكتوه ! إنه يا عباد الله شيطان مريد

شيخ آخر : هذا وهابيٌّ !

ثالث : هذا معتزليٌّ !

رابع : سدُّوا فاه

خامس : لا تدعوه يغوي الناسَ !

سادس : هذا ما كنا نخشاه !

« همام رافعاً صوته في شيء من الغضب » :

أنا لا أصغي لتسكيت امرئ أنا لا أخشى صياح الصائحين
خطبتي لا بدّ من إتمامها

شيخ متنور : أتمم الخطبة إنا سامعون
لا تُبل ؛ من رام أن يقطعها فليقم إن شاء في المنصرفين

همام : أنا لم أدْعُ إلى غير الهُدَى ... وإلى غير نهُوض المسلمين

أنقِمْتم دعوة الناس إلى ... سُنّة المختار خير المرسلين

« ملتفتا إلى الشباب »

اسمعوني يا شبابَ الحي ، لا ... يُقصكم عني مقالُ الجامدين !

.. .. ليس في الفقه غذاء الناهضين !

اقرأ وافقَه حديثَ المصطفى ... تعبروا الشكَّ إلى برد اليقين

لا تهابوا اليومَ أن تجتهدوا ... إن سرَّ العلم للمجتهدين !!

وكتاب اللهِ باقٍ خالدٌ ... تنجلى آياته في كلِّ حِين

ادرسوه درس أحياء ولا ... تدرسوه دَرْس قوم ميّتين

ادرسوه وفْقَ نهج خَطّه ... (مصلِح الإسلام[1]) ذو الفضل المبين

إنه يشْعِل في أنفسكم ... جذوةَ الدين وعِزّ المؤمنين

إنه يبعث في أرواحكم ... قوةً هائلةً لا تستكين

فَتَح الدنيا بها أسلافنا ... من ربَى الغرب إلى السور المكين

وأضعناها فهُنّا بعدها ... وغدونا مُضْغةً للآكلين

ليست الأخلاق لِينًا في الخُطى ... وخضوعًا هو للنّفسِ مهين

إنما الأخلاق أن لا تُبطِنوا ... غير ما للنّاسِ أنتم تظهرون

إنما الأخلاق أن لا تتركوا ... نصرةَ الحقِّ للَوم اللائمين

رفعَ الإسلام من أنفسِكم ... فارفعوها عن دعاء المقْبَرين

لا تذلُّوا لسِوَى الله ، ولا ... تخضعوا إلا لربّ العالمين

---

(١) هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

« أحد الحاضرين لصاحبه » :
لِلّـــــهِ مـــــا أفصَحـــــه !

الآخر : والحقُّـــ وا للهِ ـــ مَعَـــــه !
الأول : لكـــــن هـــــؤلاء لا يبغوننــــــا أن نســــمَعه
الثاني : أقوالـــــه مؤلمـــــةٌ لهـــــؤلاء موجعَـــــه
الأول : لأنهـــا تقطـــعَ مـــا كـــان لهـــم مـــن منفعـــه
همام : حَكموا الأنصـاف فيمـا بينكـم لا يكـن قـومٌ لقـوم حـاقرين
فالمســاواة علـى أعْدَلِهــا ميزة الإسلام عنـد البـاحثين !
وأخــو الحـــق إذا لم يُعْطَــهُ أخــذ الحـق انتهابًـا بـاليمين

* * *

المشهـــد الثالـــث

« بهو كبير ـ في دار أحد أدباء البلد ـــ مفروش بالبسط الجميلة من المخمل الثمين ، منقوشة جدرانه برسوم فنية جميلة للأزهار المختلفة تحملها الأغصان الخضر . جماعة من الأدباء في المجلس بينهم كثير من أتباعهم المتأدبين يشربون ويتحدثون. أمامهم عدة شاي مصقولة يخطف بريقها الأبصار يتولاها أحدهم . يدخل همام مسلمًا » .

همام : عمـوا مسـاءً يـا أصدقـائي
الحاضرون : مسِّــيت بالخــير والهنــاءِ

أهــلاً وسهــلاً

أحمد : (أحد الأدباء) هذا ابن عيسى يــذم فينــا أبــا العــلاءِ

همام : في الديــن أو في البيــان ؟

أحمد : بــل في كــل الشــؤون علــى الســواء

همام : لا يا ابن عيسى جزت المدى لا بــدَّ مــن العــدل في القضــاء

« ملتفتًا إلى أحمد »

وأنــتَ مــاذا تقــولُ فيــه ؟

أحمد : إنــــي أراهُ في الأتقيــــاء

همام : كِلاكُمــا قــد غــلا ، فهــذا ذمَّ ، وذا لَــجَّ في في الثنــاء

بــل هــو في شــعرهِ إمــامٌ جَــدَّد نهجًــا للشــعراء

لكنّــه كــان في ارتيــابٍ مــن ديــن مــولاه وامــتِراء

فقــال مــا قــال غــيرَ خــاشٍ ولا مُــداجٍ ولا مُــراءِ

ومُمكــنٌ أنّــه حُظِــي في أخــرى لياليــه بــاهتداء

فرُبَّ شــكٍ أفْضــى بِمــولا هُ ـ بعد ما حــار ـ للجــلاء

« تدار كؤوس الشاي ويأخذ همام كأسًا »

شــرابُ الشــايِ خــيرٌ لي مــن الدنيــا ومــا فيهــا !

إذا مــا أقبلــت كــأسٌ كخــزدٍ في تهاديهــا

قــولى الهــم مــن نفســي ودانــت لي أمانيهــا !

عرفتُــم مــنْ هــو القــائلُ هــذا الشّــعرَ في الشــاي ؟

يــرى في الشــايِ دنيــاه فمــا صِحّــةُ ذا الــراي ؟

عقيل (أحد الأدباء) :

لا تعجبنّ همــامُ تلك حقيقــةٌ كالشمــس فيها الشاربون سواءُ

ما قيمة الدنيا وما فيها إذا   ما لم يكن شايٌ ولا ندماء ؟

همام : إنَّ في الشاي عزاءً   لصريع الهم والغمْ

لكئيب أو حزين   أو عميدٍ أو متيّم

حاز لُطفَ الخمر إلا   أنه غير محرّم ؟

من صفاء اللون في العين   وحُسنِ الذوق في الفم

هو مَسلاة أديبٍ   فيه من بلواه مَعْصَم

ورَسولٌ للتآخي   يجمع الناس وينظِم

غير أنّ القصدَ في الأشيا   ء منجاةٌ ومَغْنم

فغلَوْنا فيه حتى   صار فينا يتحكّم

وغدا وهو على القو   ت الضروري مُقَدّم !

وشربناه بلا وزنٍ   وتقدير مُنظّم

فلكَمْ يَسْلبنا الما   لَ وكم يُسقِمنا كم

ولكَمْ أخنى على بيتٍ   كريم فتهدّم

ولكم عائلةٍ جرّ   عها صابًا وعلقم

ولقد زاد بلاءً   أنه في قُطرنا عَمْ

فهو في القصر ، وفي البيـ   ـت ، وفي الكوخ المرمرم !!

عقيل **ـ ملتفتًا إلى «عبد الله» المغني :**

يا بلبل الأفراح والسُّرور   اصدَحْ بمُوسيقاك في الحضور

غن لنا شعر (أبي كثير)   في الشاي وانشُر ميت القبور !

(يتهيأ المغني ثم يرفع عقيرته يتغني بصوته الجميل ولحنه الطروب) :

يا صاحب القلب الشقي بقومه   إرفق بهذا القلب لا يتحطمِ !

اخـــدم بلادك ما استطعـت وكل إلى

مـــــولاك ما لم تستطعـــه وسلّـــمِ

ومن الجفـا أن لا تحـيي مثلمـــا   حيّاك وجه العيـد مبتســـمَ الفمِ

ذَرْ بعضَ همـــك واقض بعض حقوقــه

لا بـــــدَّ للمحـــــزون من مُتَبسَّـــم !

واقـــذف شياطينَ الهمـــــوم بأكـــؤس

تنفـــضُّ من (بُـــرَّاد) شاي مُعلَّـمِ[1]

مخضـرةٍ جنباتــه فــاعجب لــه   من جنـة خضـراء فـوق جهنـمِ !

شاي يفـوز من احتسـاه بلثمــةٍ   من كل خدٍ في الحسان ومبسمِ !

من (باسلامةَ) مثـــل ذوب التـــبر أوْ

من (مشعبيّ) مثل لـــون العنـــدمِ[2]

مثـل الطـلا في لونهـا وصفائهـا   ونقيضهـا في رجسـها والمـــأثمِ

لا نقـصَ عنهـا فيــه إلا أنــه   حُلْـوُ المــذاق وأنــه لم يحـرُمِ

فاشربه متخذًا نديمَـك كـل ذي   أدبٍ متـــى نادمتَـــه لا تنـــدمِ

همام : أحسنت يا بلبل الوادي !

آخر : أجـــدت

آخر : لقد رَوَّحـــــتَ بـالصّوت أكبـادًا وأرواحـا

همام : وقـد تفرد بالإحسـان شـاعرُنا   إذ ضمَّن الشعر توصيفًا وإصلاحا

وأنصِتوا لشاعـــر   من شعرائكـم سَـــرِيْ

« الحامديّ » يصف الشاي بوصف عبقري !

---

(١) البراد يطلق هناك على إبريق الشاي .

(٢) صنفان من الشاي اشتهرا في حضرموت بهذين الاسمين .

روّق لها مـاء الغمـام وهاتهـا لي والحبـاب يجـول في جنباتهـا
صهباء ما عبثت بها يدُ عاصـر ما عاشـرَتْ إلا أكـفَّ سُقاتِهـا
من جيّـد الشـاي استحال عصـيرها
فغـدت تحاكي الشهـب في جاماتهـا
قـد راق منظرهـا ورق زجاجـها
فلِعلـةٍ لم يُدهقـوا كاساتهـا
لولا انتصـافُ الكاس خيّـل أنهـا
في كـف ساقيهـا تقـوم بذاتها !
وإذا الهموم على النديـم تكاثفـت
وبـدت أشعتها جلت ظلماتهـا !

حقًّـا لدينـا نهضـةٌ أدبيّـةٌ لا تُنكـرُ
عَمَـرت نوادينـا ، بهـا يستبشـر المستبشـر
نشـطَ البيـانُ فشـاعرٌ يشـدو وآخـر ينـثر
هـذا لعمـري مُـؤذِنٌ بنهوضنـا ومبشّـر

(يتنهد)

لكـنَّ .. مَشْـيُ العِلـم في أحيائنـا متعـثّر !
جَمَد (الفقيـه) على متو ن بالشُّـروحِ تُفسَّـرُ
وكأنهـا التـنزيل أو هـي بالقداسـة أجـدرُ !!
ويرتّـل (النّحـوي) كُتـبَ خلافِـهِ ويقـرِّرُ
يمضـي عليـه عمـره لا يسـتطيع يُعَـبِّرُ !
أمـا (الحديـث فـإنهم يتلونـه كـي يؤجـروا
ووظيفة (الذكر الحكيـ ـم) علـى القبـور يكـرّرُ !
أمّا سوى هـذي العلـو م فأمـره مُستَحقَـرُ

كيـف النهـوض لأمـة   لا علـمَ فيهـا يُذكَـر ؟
في الديـن والدنيـا جميـ   ـعًا سـيرُها مُتَقهقِـر !

أحد المتأدبين (**معترضًا**) :

إنّـا علينـا السـعي للـ   ـأخرَى ؛ وللدنيـا سوانا !
أو ليستِ الدنيـا بسِجْـ   ـنِ المؤمنين كمـا أتانـا ؟

همام

الله يـأمر أن نكـو   نَ أجلَّ أهل الأرض شـانا !
وأشـدهم بأسًـا وأر   فعهـم وأعلاهـم مكانـا
كيمـا نقيـم العـدل في الـ   ـدّنيا ونملأهـا أمانـا
فـإذا اتّبعنـا مـا يقـولُ   فسـوف يُدخِلنـا الجنانـا
فـنرى بهـا الدنيـا كسجـ   ـنٍ لا نـرى فيهـا رضانـا
والدين بالدنيـا فليس يقـ   ـومُ مـا ضَعُفَـت قُوانـا
وطبيعـةُ الإسـلام لا   ترضـى المذلـةَ والهوانـا
هـذا المـرادُ ، وحسـبُنا   قـرآنُ مولانـا بيانـا

« **يلتفت إلى جماعة من الشبان العاطلين من أبناء السادة والمشايخ كانوا قد حضروا المجلس** » :

يا بني الأشـراف قومـوا وانهضـوا
فكفـى ما كان منكـم من كَسَـلْ
اعملـوا لا تتوانَـوْا واعلمـوا   أنّ هـذا دينَنـا ديـنُ عمـل
بينمـا النـاسُ علـى أعمـالهم   بـين تشـمير وجـدّ مكتمِـل
تتهـادَوْن كأسـراب القطـا   وتمشّوْن كقُطعـان الهمَـل !؟
أفـلا يغشاكـم فيـه حيًا ؟   أو لا يلحقكـم فيه خجَـل ؟

أحدهم : إنهم أشياخنا ينهَوْنَنا   عن تعاطينا لأعمال السفل
فعلينا العلم أن نخدمه   وسيَغْنى من على اللّه اتكل !

همام : إن هذا الرأي منهم خطل   وأراكم لا تقِرون الخطل
فمتى عُدَّ من العار على   سيّدٍ مسعاه في خير السُّبُل ؟
يجلب الخير إلى أهليه مِنْ   والدٍ أعمَى وأمٍ تبتهل
وأخيَّاتٍ على أوجهها   كمُدة اليأس ولألاءُ الأمل !
تتمنى ما لدى جاراتها   من أثاث وحلْيٍ وحُلل
أو لم يكتسب المختار في   عهده والآل والصحب الأول؟
طالب العلم ولا كسبَ له   بسؤال الناس لا بُدَّ يذِل
ليس من لم يكتسب متكلا   إنما الكاسب عين المتّكل !

* * *

أبني الرسول تعلموا   وتدبروا سُنن الحياه
لا تجمدوا ! إن الجمود   سبيل من كره النجاه

* * *

أسلافكم وجدودكم   شهدوا عصورًا غير هذا
فلو انهم شهدوه ما انتبـ   ـذوا عن الدنيا انتباذا

* * *

لا تجعلوا أعمالهم   حججًا ، ولكن محِّصوها
فخذوا محاسنها وخلّـ   ـوا ما ترون الريْبَ فيها

* * *

لا بـأس مـن تمجيـد ذكـــــ ـــراهم ففي التمجيد ذكـرى !
كم حاضـرٍ تحـت الرمـــو س أفـادَهُ ماضيـــه نشـــرا

* * *

لكـن بحيـثُ يُهيـب نحـــ ـــو المجـد منطلـقَ القيـودِ
العصـر غـــير العصر والـــ ـأشبال أبنـاءُ الأسـودِ !

* * *

كـــانوا هـــداة النـاس بـل كـــانوا ملائكـــة التُّقـــى
قـد أكـبروا شـــأنَ الفنا ءِ وأصغـروا شـــأن البقـــا

* * *

لمـــا ســرت رُوحُ التصـــوّ فِ والتبتّـــل فيهـــمُ
مقتـــوا الحيـــاة كأنّهـا أشـــياءُ لا تَعنيهـــمُ

* * *

فـالموتُ هَمُّهمـو ، وغـا يـــةُ همهـم دار المـآبْ
فَعُنُـوا لهـــذا بالقبـــو ر ومـــا إليهـا مـن قِبـاب

* * *

وتعشـقوا الموتـى فأحـــ ـــيَوْا لادِّكـارهم المواســمْ
يجـــدُون عندهــم العـزا عن عيش ســوءٍ غـير دائـم

* * *

فقفــوا أمـــامهمُ خشــو عًـا في ســكون واحـترام
فقـــد انقضـت أدوارُهـم فعليهـــمُ أزكى الســـلام

* * *

شَـهدوا زمانًـا فيـه قـد غلـب الجمـودُ علـى ذويـه
أنلومهـم ظلمًـا لأنْ كانـوا فريقًـا من بنيـه !؟

* * *

إنـا لنظلمهـم إذن وهـم التّقـاة الصـالحون
رامـوا رضـى مولاهـمُ في كل شـيء يعملـون

* * *

لكـن عليكـم أن تكـو نـوا للحقيقـة طالبينـا
لا تقبلـوا ما جاءكـم عـن هـؤلاء مُسَلّمينـا

* * *

وتدافِعـوا عنـه ـ علـى جهـلٍ ـ بحـق أو بباطل
ليسـوا بمعصومـين عـن خطـأٍ وإن كانـوا أفاضـل

* * *

اليـوم قـامت نهضـةٌ في عـالم الإسـلام حيَّـهْ
وسـرت إلى الديـن الحنيـ ـف حياتُه الأولى القويّـهْ

* * *

شبّتْ بهـا الحـربُ الضّـرُو س علـى الطـوارئ والبـدعْ
مما بـه الأهـواء قِـد مًا ألصقتـهُ والتّشيّـعْ

* * *

فلقـد هـوَتْ بالمسـلمين إلـى الحضيـض الأوهـدِ
وقضـت على أوطانِهـم للمسـتبدِّ المعتـدي

* * *

لا بــدّ مــن هــذا الرجــو ع إلى الكتــاب الخــالد
وإلى هُـدَى المختــار والـ ـسَّلف الحكيــم الرّاشــد

* * *

فعليكمــوا أن تدخلــوا هــذا الغمــار ولا تكعُّــوا
أنتــم بنــو الهــادي فمــا في سبقكــم للفضــل بِـدْعُ

* * *

كونــوا مِثــال النُّبــل كــو نــوا قــادةً للمســلمين
والدين كونــوا في طليــ ـعة ناصريــه المصلحــين

* * *

واقضــوا علــى الأوهــام لا تَجــدَنَّ بينكــم نصــيرا
ومــتى دعــوتم للصــلاح هديتــم بشــرًا كثــيرا !

* * *

وتعلّمــوا أن الــورى في شِــرعة الهــادي ســواءْ
ما الفضــل إلا بالتّقــى والكــل من طــين ومــاءْ

* * *

أمــا التّقــاليد القديمــه فاتركوهــا أجمعــا
أو لم تكُــنْ للفتنــةِ الـ ـعمياءِ فيكــم مهيعــا ؟

* * *

عـادْ جرت قِدْمـا يطول بـ ـهـا القـويُّ علـى الضعيـفْ
ألعصر يمقتهـا ، وليس يقـ ـرّها الديـن الحَنيـفْ !

(يرى ثلة منهم يتهامسون)

فيــمَ تهامَســون ؟ ومــمّ تعجبــون ؟

(ينظر بعضهم إلى بعض ويجيب أحدهم) :

القـــوم لِلّـــذي قـد قلتَ مُنكـرون !

آخر : يقولـون ترشَّـدت !

همام : وهـل بالرُّشْـدِ مِـنْ لـوم ؟

فهـذا (قُطْـب الإرشـا د) ربّ الفضـل في القـوم !

أحدهم : نحن نعنى فئة النصب التي أبغضتنا آل بيت المصطفى !

جاهرتنا بالعِدا في (جاوةٍ) وبوادي (حضرموت) في الجفا

همام : سُؤتم ظنًا ، وما زلتم لمن جاءكم بالنصح تبدون الجفا

إنـي من أعظم الناس لِما كان من شَغْبٍ (بجاوا) أسفا

وأراهـا سـبة تجعلنـا في عيون الناس بين السُخفا

غير أني لا أرى أعظم أسـ ـبابها إلا جمودَ الشُرفا !

وقفوا في وجه سيْلٍ لو تولّـ ـوه بالحُسنى لأروى وشفى

فطغت أمواجه ، حتى لقـد جرف الأسداد فيما جرفا !!

حكّموا الأهواءَ ثم انطلقوا بالأهاجي يملأون الصحفا

ونَسُوا أن المبادي لا ترى نُجْحها ما لم تؤاخ الشَّرفا

* * *

أنـا لا أعـرف (إرشـاديَّةً) لاَ ولاَ (رابطـةً) أو جنفـا

إنما أعرف (إسـلاميةً) تجمع الناس على عهد الصفا

تجعل الناسَ سواءً لا ترى فيهم ربًّا ولا مستضعفا

أنـا لا أعـرف إلا أننـا قد غوينا مذ هجرنا المصحفا

أنـا لا أعـرف إلا أننا نشر الجهـلُ علينا السُّدَفا

فغدا العُـــرفُ لدينا مُنكـــرًا وغـــدا المنكرُ فينـــا عُرُفـــا

* * *

أنـــا لا أعـــرف إلاّ دعـــوةً (لجمـال الديـن) شقّت غُلفـا
تنـدب النـاس إلى ديـن الهـدى مثلمـا كـان بعهـد المصطفـى
لا خرافـاتٌ وأوهـــامٌ ، ولا بـدَعٌ تحســب فيـــه زلفـــا
تفتـــح العلـــم علـــى أبوابـــه في وجـوه المســـلمين الحنفـــا
ليكونـوا سـادة الدنيـا ـــ كمـا وعـد الله ـــ عليهـــا خُلفـــا
ولقـــد أيّدهـــا تلميـــذه « عبـده » فيمـا دعـــا أو ألّفـــا
بـثّ روح الحـــق في أتباعـــه فغـــدوا فينـــا غيوثًـــا وكُفـــا
فلنبـثّ الـــروح فينـــا هـــذه في إخـــاءٍ ووفـــاق ووفـــا
لنحوز الفـــوز في الأخرى وفي هـــذه الدنيا المقـــام الأشرفـــا

* * *

يا بـــني الأحقـــاف توبـــوا للهـــدى
واتبعوا (الذكـــر) ولـــوذوا (بالسـنن)
وانشـــروا العرفـــان في قطركـــم
واستغلـــوه وأحيـــوا كل فـــنّ
وتناســـــوا ما مضـــى وامتزجـــوا
وارحضـــوا الأحقـــاد عنكم والإحـــن

* * *

بينكم جنـــس ، وديـــن جامـــع
ولســـان وعهـــود ووطـــن

(ســـتار)

الفصـــــل الثانـــــي

المشهـــــد الأول

« همام في مكتبه الذي يستقبل أصدقاءه فيه يتصفح أوراقا له ورسائل . يستأذن عليـه « محمـد » .. يتعانقـان ثـم يجلسـان على كرسيين متقابلين تفصل بينهما المنضدة .

همام : أخـــي ! أيـــن تغيّبـــت ؟ فعهـــدي بـــك مـــن شـــهر
جـــرت في الربـــع أحـــداثٌ وظـــني بـــك لم تـــدرِ

محمد : ذهبـــتُ إلى زيـــارة شيـــــخ آهـــلِ الكشـــف والسرّ

(وهنا يبتسم ابتسام السخرية)

عمـــود الديـــن في « قَيْـــدو نَ » شـــيخ الـــبر والبحـــر
ألم أخـــبرك إذ يمّمـــتُ مـــا يمّمـــتُ مـــن أمـــري ؟

همام : **(متنفسا الصعداء)**

بلـــى إنـــي ذكـــرتُ الآ نَ ! فـــاقبل يـــا أخـــي عـــذري
بلانـــي الله بـــالحبّ ! فعقلـــي ذاهـــل دهـــري
نهـــاري كلـــه فِكـــر ! وليلـــي مدمـــع يجـــري !
ولا ينفعـــني علمـــي ولا رأيـــي ولا فكـــري
ولا المشـــهور مـــن فضلـــي ولا المتِـــع مـــن شـــعري !

محمد : أخـــي ! لا تنـــس أن تصـــبر فـــالنّجح مـــع الصّـــبر
وخـــلّ اليـــأس ولتقـــرأ معـــي : إن مـــع العســـر

لمـــا تـــأ لَمُ في جســــمي ومـــا تغتـــمُ في صـــدري !
ومـــا يحملـــه ظهـــرك محمـــول علـــى ظهـــري !
ألا تخـــبرني مـــاذا جـــرى طِيلـــة ذا الشـــهر ؟

همام : جـرى .. مـاذا جـرى ؟ لا شـيء غـير الضيـم والقهـر !
« وليُّ الله » ذو الجُبـــو ة والأرديـــة الخُضـــر !
وذو المسواك في العِمَّة قـــ ـــد أربـى علـى الشـبر !
وربُّ السـبْحة الغـــار قُ في التســبيح والذكـــر !
بهـــا يُذكـــرُ في النـــاس ولا يذكـــرُ في الســـرّ
ومـــن يمشـــي بعُكـــازَين مـــن أتباعـــه الكُـــثر !
يطـــاطي رأســـه لـــلأر ض كالبـاحث عـن سـرّ !
تدنّـى مـن (شـهاب) سـا عيًّـــا بـــالختل والمكـــر
أتـــاه خاطبًـــا (حُســـنًا) لراشـــي دينـــه (بكـــر)
ولم يـــألُ اجتهـــادًا عنـــ ـــده في الغض من قـدري
رمـــاني بصنـــوف الزيـــغ والبدعـــة والكفـــر
ولا تجهـــل طـــرقَ القـــو م في الحيلـــة والخـــتر !

محمد : خفف عليك ! فإن أمرك هـين والـرأي يبصـره ذوو الأحـلام
أفقِدْ عـدوَّك روحـه بسـلاحه وافلل شبا الصمصام بالصمصام

همام (في شيء من العتب والموجدة)
أتريدنا نرشو الخبيث كما رشا بكرًا ؟ وأيـن مقامـه ومقـامي ؟
إن لم نكف عن الآثـام نفوسنا فعـــلام ننقـم ضلّةَ الأقـــوام

محمد : لا يُخْطِ ظنك ما أردت ، فلم أرِدْ
إنّا نلوذ بسُبّة وملام
إنّا لنربأ أن نقارف خلة تزري بمبدئنا القويم السامي !
لكن أردت سقوط هذا المرتشي
بطريقة تكسوه ثوبَ الذام
ونرى مخازيه الأنام ليقلِعوا عن هذه الأوثان والأصنام !
من كل قاسي القلب ينصب دينه لقضاء لذّات وجمع حطام
سأطيل محنته ، وأبطل سحره قسرًا وألصِقُ أنفه برغام
وسيُبْصِرنَّ ذوو العقيدة فيه في
بردَيْه أيَّ مدجّل أثّام !

همام : (وهو يبتسم ابتسامة الإعجاب والرضى)
بوركت يا خير الصحاب ! وبوركتْ
روح الشجاعة فيك والإقدام
لِتَنَم جفوني ما سَهِرْتَ فإن أنم
وسهرتَ أنت فلستُ في النوام
محمد هاتِ عن قَيْدو نَ ماذا كان من أمر ؟
وما شاهدتَ في الموسم من عُرف ومن نُكْر ؟
وهل وفّقْتَ في الإنكار والتذكير والزجر ؟

محمد تَوافَى الناس أفواجًا إلى قيدونَ كالذّرّ
فمن ساعية تمشي ومن راكبةِ الحُمر
هناك الساحة الكبرى تحاكي ساحة الحشر
بها ما شئتَ من لهو ومن لغو ومن هَذْرِ

وقــد غُصَّــتْ بأشــتات ... مــن الآســاد والعُفــر !
تبــارت ثــمَّ في الحِلْـــ ... ــية والأبــراد والخُمــر
وقــد يقتُلــن بــالمِعصم أ ... و بــالنظر الســحري !!
مــن الظُّهــر إلى العصــر ... إلى مُنْبَلَــج الفجــر !
هنــاك الخسـر في الديــن ... وحسـب النـاس مـن خسـر
ولا يربَــح في تلــك الــ ... ــزيارات سـوى النَّجْــر
وأمــا ســادن القبــة ... فهــو الرابــح المــثري !
تُســاق لــداره الأكيــا ... س مــن حَــبٍّ ومِــن تمــر
و(للصنــدوق) مــا يبــا ... ع مــن ورْقٍ ومــن تــبر !

* * *

ولمــا حضــر الوقــت ... تداعَــوْا كضحــى النَّفــر
وأمُّــوا نحــو قــبر الشيــ ... ــخ بــالطبل وبــالزَّمر
يصيحــون : وليَّ الله ... جئنــاك إلى القَــبر !
أتينــاك لكــي تحمِــلَ ... عنّــا ثِقــلَ الــوزْرِ
وكَــي تُسْــبِلَ يــا قطــبُ ... علينــا ضــافيَ السِــتر
وفي الأنفــس حاجــاتٌ ... بهــا يــا ســيّدى تــدري !
أتينــاك لكــي تُقضَــى ... ونحظَــى منــك بالسَّــتر

* * *

ولمــا وصلــوا القبــةَ ... داروا دَوْرة الحُمــــر
وأهــوَتْ راحُ ذاك الجمــ ... ــعِ في التابــوت بالنقــر

فـــلا تســـمع إلا مـــا .... يصيـــب الســـمع بـــالوقر
هنـــاك النـــاسُ غـــيرُ النـــــاس في الإخبـاث والذِكـر !
فهـــذا خـــاضع شـــاكٍ وهـــذا دمعـــه يجـــري
وهـــذا ينشـــج النشـــجةَ تســتعصي علــى الصــدْر !
وهـــذا يُرعَـــدُ الرَّعـــــدة في أعضائـــه تســـري !
وهـــذا ينـــذر النّـــذرَ وهـــذا جـــاء بـــالنذر
وهـــذا صـــائح : يـــا سيِّـــــدي عطفًـا علـى فقـري
علـــى عجـــزي وإهمـــالي علـى ضعفـي علـى ضـري
وقـــد جُلّلـــتِ القبَّـــة بالزينـــــة والسِـــــتر
وبَيْضـــاتٍ مـــن البلّـــور عُلّقـــنَ علـــى الجُـــدْر !
فمـــن حُمـــر إلى صُفـــر إلى زُرق إلى خُضـــــر
ومصبـــاح كبـــير الضـــوء مثـــل الكوكـــب الـــدرّي
وللتـــابوت معنـــىً مِـــنْ جـــلال العِتـــق والقـــدر[1]
قـــد اســـودَّ مـــن التقبيـــل في مختلـــف العُصْـــر !
عليـــه ضِبَـــبُ الفِضّـــــة في أســـودَ كالحِـــبر
فتبـــدو كثغـــور الزِّنْـــــج إذ تضحـــك مـــن أمـــر !
فثَـــمَّ الضـــم والتقبيـــــل بـــالثغر وبـــالنحر
تلاقـــى فيـــه دَمْعـــا الشـــاب والجاريـــة البكـــر !

* * *

---

(١) العتق : القدم .

ولما سكن الجمعُ سكونَ الموج في البحر
تراءى الناس شيخًا ذا شقاشقَ فيهم هُدْر
ينادي : أيها الناس اهْنأوا بالفوز والنصر
بهذي النعمة العظمى بنيل الفضل والفخر
قصدتم باب ذى عطفٍ وذي جود وذي برّ
وإنّ الشيخَ لا يتْرُكُ من زار بلا أجر !
عليكم بخلوص القصد في السر وفي الجهر
وبالتسليم للأقطاب والخِدمة والصَّبر
وإياكم وسوءَ الظن بالصوفيّة الغرِّ
فأهلُ اللّه هم . جازُوا مناطَ النهي والأمر !
ملوكٌ لهم التصريف في البر وفي البحر

* * *

سمعنا أنْ في (حدرى) تباشيرَ من الكُفر ![1]
تصديٌّ ناشئ غِر بلاه اللّه من غرّ !
يُربّى الشَعْر كالفُسَّاق إذ يُعْنَونَ بالشَّعر
تلقى من فنون العِلم ما زاد على القَدْر
فأغواه وأرداه وجاء النفع بالضّر
ومن شِقْوته استحلى حميمَ الأدب المزري
جريء القلب لا يعبأ بالتهديد والزجر

(١) تطلق حدرى على ما سفل من حضرموت كشبام وسيوون وتريم . وعلوي على ما علا منها كدوعن وعمد ووادي العين .

يبث السم في الجاهـــل والعلاّمة الحِبْر
يسيء الظنَّ بالأقطاب أهل المدَد السّرّي !
له أتباعُ سوءٍ كلّهم يدعو إلى الشّرّ

* * *

هنا قمت وقد ضاق بي الواسع من صدري
وما باليت بالغوغاء في عسكرها المجر
وقلت اسكت عجوز السوء يا داعية النكر !
عدو الله والإصلاح ! هل تهذي ولا تدري ؟
أتدعو الناس للنكر وتهجو داعيَ الخير
فصاح الشيخ : غولوه فذا من شيعة الغِرّ
فلولا أن تسلّلت من الجمهور بالفرّ
لكانوا أعدموني مهجتي بالضرب والدَّفر[1]

همام : (**يضحك ويقوم إلى محمد ويضرب على كتفيه**)

حماك الله من سوء وقاك الله من شرّ
لقد قمتَ مقاماً لا يُوازي عُظْمَه شكري
ولا بد لذي الإصلاح من عزم ومن صبرِ

* * *

(١) الدفر : الدفع في الصدر .

المشهـــد الثانـــي

« في دار (حسن) في الطابق الثاني . غرفة كبيرة مفروشة بمختلف السجاجيد الثمينة ، مكسوة جوانبها التي تلي الجدار بالمفارش الجميلة عليها الوسائد والمياثر الناعمة .

علويـة : **(داخلة الغرفة)**

أيهـا الربـــع ســلامٌ عيّـكــم !

خديجة : **(ناهضة لاستقبالها)**

وعليكـم ألـفُ ألـــفِ ســلامِ !

مرحبًـا أهــلاً بشـخص كريــم   مرحبًــا بابنــةِ قــوم كـــرام

(تتصافحان فتجلسان)

علويـة : يا صبـــاح الخـــير !

خديجة : هـــذا صبـــاحٌ   بــكِ طَلْــقٌ ثغــرُه في ابتســـام

علويـة : كيف حـال الربـــع ؟

خديجة : في خـــير عيــش   نسأل الرحمن حُسْـــنَ الــدوام

علويـة : أين حُسنٌ ؟ إن شوقي لحســن   مثل ما اشتاقَ إلى الماء ظــامي !

خديجة : هـــي في غرفتهـــا

علويـة : إئذنـــــي   أن أراهــــا ..

خديجة : هي ذات احتشـــام

تستحـــي من زائرينـــا

(تقبل الخادم بعدة الشاي)

علويـة : ومـــاذا ؟

خديجة : قصدُنا الأنسُ وطيبُ النّدام

علويـة : قَســمًا أشْـرَبُ إلاّ إذا مــا نشرتْ حُســنٌ بسـاطَ المـدام

خديجة : (**مبتسمة**)

أتُجيديـن احتيــالاً كهــذا ؟

علويـة : إنما أمْلَــى احتيـالي هيامـــي

(تقوم خديجة ثم تقبل وتقبل وراء ها حسن تمشي على استحياء)

علويـة : (**قائمـة**)

مرحبًا بالبــان يهـــتزُّ لينًا ! مرحـبًا بالبــدر بـدر التمام !

(تدنو فتقبل حسنا على خدها فتقبلها حسن على رأسها وتجلس إلى عدة الشاي)

يـوْه ! مــا أجملهــا مــن فتـاةٍ يــوْه ! مـا أصلحهـا لهُمــام !

صلواتُ الله تغمـــر طـــه وحماهــا الله مـــن عــين رام

(يخفق قلب حسن ويتصاعد الدم إلى وجنتيها فيتوردان وتطرق حياء وتتشاغل بإصلاح الشاي)

خديجة : (**في تجاهل واستغراب**)

مَــن همـــام ؟

علويـة : تسألينـــي عنـــه ؟ ليس يخفـى البدرُ بـين الأنـام !

ذلــك المُصلِـح زَيْــنُ شـــباب القُطر ذو الهمةِ والإعتزام

ذلــك الحـالي بكــل جميــل ذلــك العـاطل مـن كــل ذام

ذلك المشهــور في كل قُطــر بمزايـــاه الكِثـــارِ العِظـــام

والذي سـارت بحُسـنِ قوافيـ ـه إلى مصر وأقصـى الشـام

(تلاحظ ارتياب خديجة فيما إذا كانت هي رسولاً من همام وسفيرًا له)

لا تظنيـني رسـولَ هُمـام أنـا لا أعـرف شـخص همـام
إنمـا آسـفُ أنَّ كريمًـا مِثلَـه يُمنـى بقـوم لئـام
هـو يسـقيهم كئـوسَ حيـاةٍ وهـمُ يسـقونه كـأس سـام[1]

خديجة : مـا تقولـين ؟ أليـس همـام حاد عن نـور الهدى للظـلام ؟
ودعـا النـاس إلى أن يقولـوا فيه مـا قـد زَوَّروا مـن كـلام

علويـة : مـا اسـتطاعوا أن يَزُنّـوا إلا بـالذي يُعليـه أسمـى مقـام

خديجة : إن قلبـي ليَـودُّ همـامًا ورضـى بنتِيَ أقصى مرامي !

(تلاحظ علوية من كلام خديجة أنها مقتنعة بحب حُسن لهمام فتقاطع حديثها وتلتفت إلى حسن قائلة) :

أتحـبين همـامًا :

حسن : **(في تلعثم وخجل)**

ومَـن لا يعـ .. ـشق الحُرَّ الحسيب العصامي
فَـرَع النـاسَ بعلـم وخُلـق وجهـادٍ في الهـدى واعـتزام !

خديجة **(عائدة لتتمة حديثها)**

غير أنـي لا أطيق كـلام النـ ـاس في زوج ابنـتي بـالملام
فـلزوج البنـت عنـدي محـلٌّ في السـويداء مـن القلـب نـام
خـبّريني كيـف أدفـع عنـه حين يُرمـى بـالفِرَى وأحـامى
ليتـه خلّـى زمـام الـورى فيـ ـهم ، فما كـان بـربِّ الزّمـام
فيـم يهتـمُّ بأمـر سـواه وهـو لـمّا يَعْـدُ سنَّ الغلام ؟

---

(١) السام : الموت

لـو تملـى بليـالي صبـاهُ فمضـت في غبطـة وسـلام !
لـو تخلى عـن شـؤون البرايـا وتولّـى شـأنَه باهتمـام !
وتعامـى عنهُـمُ !

علويـة : هـو يخشـى غضـب اللّـه لهـذا التّعـامى
فالذي يكتـم علمَ الهـدى يُلْـ ـجَمُ من نـار لظـىً بلجـام
إنمـا ضـرّ البرايـا تعـامى هـؤلاء العلمـاء الضخـام
يبصـرون النـورَ وهـو مضـيء فيلـوذون بسـتر الظـلام !
ويـرون النـاس في ليـل جهـل يتدجّـى أفقـه بالقتـام
يـتراءمون علـى كـل قـبرٍ ومصـاب الديـن في ذا الـترامي
ويـرون المنكـرات عظامًـا فـتراهم عندهـا كالعِظـام
ويقولـون : لنـا بـالألى قـد غبروا من قبلِ حسـن ائتمـام
أنـرى نعـزو إليهـم ضـلالاً وهـم أمثلـةُ الاعتصـام ؟
مثل هـذا عذرهـم وهـو عـذر سوف لا يقبـل يـوم القيـام !

* * *

فخليـق بفتـى كهمـام أن نـرى غيرتـه في اضطـرام
إذ يـرى موطنـه في انحطـاط ويـرى أمتـه في انقسـام
دب فيهـا داءُ جهـل وخلـفٍ وعـداء قـاتلٍ وخِصـام
فانـبرى ينعشـهم مـن خمـول ومضى يوقظهـم مـن منـام !

خديجة : فهبيني قـد رضيت ، فمـن لي بشهابٍ وهـو صعب الزمـام ؟
وهـو لا ينفـي ويثبت أمـرًا بسـوى رأي (الولِيّ) الإمام !

جاءه من قبل عشرين يومًا فنهاه عن قبول همام
ورجا تزويج حُسن (لبكرٍ) فبه اليمن وحسن الوئام
قال : إن المصطفى يتأذى من همام ، قلبه منه دام
وأولو البرزخ سوف يغيرو ن عليه عاجلاً بانتقام

علوية : (في غضب)

ذلك الدجّال لا ريب فيه أوليٌّ الله عبد الحطام ؟؟
قد رشاه بالريالات بكرٌ والرُّشى للقطب غير حرام
أفؤاد المصطفى غير راض عن غيور عن هداه يحامى ؟!
وأولو البرزخ كيف يغيرو ن على حيٍّ وهم في الرجام ؟؟
معشرٌ ماتوا وصاروا إلى النيـ ـران ، أو صاروا لدار المُقام
تُرَّهاتٌ جعلوها من الديـ ـن ، تعالى ديننا المتسامى !

* * *

المشهد الثالث

(علوية تزور زهراء في بيتها)

علوية : صديقتي ! إني لمشتاقةٌ إليكِ

زهراء : واشوقي للقياك !

(تتعانقان بلهف)

أهلاً بمأتاك ، وشكرًا لذكـ ـراك فقد جرّتك ذكراك

علوية : عندىَ بشرى لكم

زهراء : بشّرى علَّ المنى في طيٍّ بشراك

علوية : أيـــن همــــام ؟

زهراء : أهـي بشـــرى له ؟ هاتـــي أطـــال ا الله محيــاك !

فإنــــه ثـــمَّ علـــى حالـــةٍ من الأسى يبكـي لهـا البـاكي !

علوية : يبكـي لهـا البـاكي ؟ ألا ويحــه ويـح لـذاك الأسـد الشــاكي !

زهراء : هـاتي أبيـني : مـا الـذى جئتنـا بـــه ؟ رعـــاك ا الله مـــولاك

لعــلَّ أن تفثـأ عنــــه الأســى يمنـاكِ ، مـــا أبـــرك يمنـــاكِ !

علوية : خديجـة لَيَّنـــت مـــن قلبهـــا على همـــــام

زهراء : هـــل جـــرى ذاك ؟

كيــف وأيـــن ومتـــى ؟

علوية : زُرْتُهــــــــا أمـس وهـاكِ مـا جـرى هـــاكِ

« تقص عليها حديث أمس كلـه مما جرى بينها وبـين خديجة وحسن .

تستأذن زهراء لتبشر هماما . تنطلق إلى غرفته وتعود بعد حـين إلى علوية » .

زهراء : بشــــرته فــــانهملت عينـــــه مـــن فـــرح مـــا كـــان لـــولاك

وقـــام مـــن مضجعـــه ناهضًـــا يشـكر حـقَّ الشـكر مسـعاك

علوية : لم آت مـا أُشكر من أجلـه !

زهراء : بمثـــل ذا اللطـــف عرفنــــاكِ

إن همامًـــا قـــانع في الهـــوى بكذبـــة مـــن فـــم أفـــاك !

ويـــأخذ اللفظـــة فـــألاَّ لــــه مـــن قصـةٍ يوردهـــا حـــاك !

وقد يـــرى الحليـــم فيعِنــــدُه نور رجـاء وســـط أحـــلاك

فكيـف لا يبكـي سرورًا وقـد　　جاءتـه بشـرى مثـل بشـراك ؟
أمـا شـهابٌ فلـه خِلّـه　　محمـد ذو الخلـق الزاكـي
لازلتمـا عـون أخـي دائمـا　　وا لله يرعـاه ويرعـاك !

* * *

المشهـــد الرابـــع

« سالم في بيت السيد (ولى الله) لتحقيق المهمة التي كلفه محمد إياها . يدخل على ولي اللّه في غرفة فخمة مزدانة بكل ما يستطاع الحصول عليه من الفرش الثمينة والمتاع النفيس . يجده مستندًا إلى جمهرة من الوسائد مادًا رجليه لرجل عنده يكبسهما ».

سالم　: سيدي يا صاحب السر العظيم　　يا ولي ا لله يا غـوث العديـم
متّـع اللّـه بمحيـاك الـورى　　إنمـا وجهـك مصبـاحُ العتيـم
الولي　: مرحبًـا بالخـادم البرِّ الـذي　　خصه الرحمن بالقلب السليم
حَسِّن الظن بأهل السرِّ يا　　خادمي تحـظ بجنات النعيم
آه ـ لو يعرفـني هـذا الـورى　　لأتوني من قصيّـات التخـوم
أنا جيلانـيٌّ هـذا العصر ، قـد　　وطئت رجلاي أعناق النجـوم
خضت بحرًا وقف الخلق على　　ساحليه في ذهـول ووجـوم ـ
من رآنـي أو رأى مـن راءنـي　　فهو محظـور على نـار الجحيـم
أهل هـذا القطر مـا دمـت بـه　　في رخـاءٍ وهنـاءٍ مسـتديم
يولد الطفل على عيـني ، كمـا　　يرحـل الراحـل أو يغـني المقيـم
أسعـد الناس بنـا أحسـنهم　　نيـةً فينا فـذاك المستقيـم

وأشدُّ الناس خسرًا من بنا ساء ظنًا فهو شيطان رجيم !
ذاك في نار لظى مهما يكنْ كامل التقوى يصلي ويصوم !
ولقد قام أخيرًا ناشئٌ صرفته عن رضى الله العلوم
رام إسقاط مقام الأوليا جاهدًا ينفث في الناس السموم
زاعمًا أنّ الورى في ضلةٍ وهو يمشي وحده النهج القويم
هكذا من كان لا شيخ له من أولى الباطن في الغي يهيم!!

سالم : سيدي علّ همامًا قصدكم ذلك المفتون بالرأي السقيم

الولي : نحن لم نعن سواه

سالم : أننا لي في علاج الناس أسلوب حكيم
ربما استطعتم به إن شئتم أن تردوه عن الغيّ الذميم

الولي : أنت لا تستطيع أن ترجعه للهدى أو تحييَ العظم الرميم
إنَّ هذا المحال !

سالم : إنّني بالذي يُغري همامًا لعليم !
إنّني أعرف مثوى ضعفه فسأرميه بنبلي في الصميم
إنّه يهوى فتاةً لشها بِ هوى قيس لليلي في القديم
هو في غير الهوى ضرغامة وهو في الحب ضعيفٌ كالظليم
وشهابٌ خاتمٌ في كفّكم ليس يعصى لكم الأمر الكريم
لو سعيتم لهمامٍ عنده فضمنّا لكم أن يستقيم !

الولي : (في غضب وهياج)
ليت شعري كيف أقضي حاجة لفتى نغص من عيشي النعيم ؟
كبه الله على منخره ! وسقاه الله في النار الحميم !
كم عناني أمره من ماردٍ ! ولكم عذّب قلبي بالهموم !

والـذي نفسـيَ فـي قبضتـه ـ وبه السَّبْع السماوات تقـوم !
نحـن لـولا أنَّ في غضبتنـا ـ حِطةَ من رتبة (القطب) الحليـم
لضربْنـا ضربـةً تنسِفـه ـ وتركنـاهُ كمـذْروّ الهشـيم
وأصـابتْ بيتـه نائبـةٌ ـ تذهل المرضع عن رعي الفطيـم
سالم : إنمـا نقضـي علـى أنفاسـه ـ إن جعلنـاه إليكـم يسـتنيم
إنَّ هـذا لهـوَ الـرأي الـذي ـ يحفظ الناس من الداء الوخيم
الولي : أتـراه يرعـوي عـن غيّـهِ ـ إن أعنّاه علـى نيـل المـروم ؟
سالم : ذاك مـا لا شـكَّ فيـه ، وأنـا ـ لكـم بـالكفِّ عـن ذاك زعيـم
الولي : خـادمي ! رأيك هـذا صائب ـ فهمـام خطـرٌ فينـا عظيـم !
غـير أنَّ الأمـر قـد فـات ولم ـ يبق في الرأي مجـال للحكيـم
قـد خطبناهـا (لبكـر) قبلـه ـ وحبانـا منـه بالمـال الجمـوم
فرميناه (بصندوق القـرى) ـ لغريـب أو فقـير أو يتيـم !
(يسكت قليلاً ثم يقول)
كـم همـامٌ دافـعٌ مـن مالـه ؟
سالم : ـ ضعف بكر أيها المولي الكريم
الولي : ذا إذًا ألـف ريـال ! هاتـه ـ قم ! وثق أنّا سنقضي مـا يروم
إن بكـرًا ذو غنـًى ، لكنـه ـ يابس الكـفِّ شـحيحٌ ولئيـم !
سـيرى عاقبـة البُخْـل غـدًا ـ عندما يُخطِئه الوجه الوسيم !

(يستأذن سالم بالانصراف فينصرف . يعود إلى بيت ولي الله من الغد)

سالم : قـد فعلنـا كـلَّ شـيءٍ وظفِرْنـا بهمـام
وارتضى ما قـد شـرطنا ه عليـه بـالتزام
وهـو مسـرورٌ بهـذا شـاكر سـعي الإمـام
تـاركٌ دعوتـه النَّكْـراء مـن أجْـل الغـرام

الولي آخـذ أن ليـس يؤذيـكم بفعـلٍ أو كـلام

سالم : أينَ ما أعطاك ؟ هـل أقـبلتَ بالمـال الـلزام ؟!

الولي : هـاك تحويـلاً إلى « جـا وَا » بـألف بالتّمـام
(يمد يده للتسلم)
هاتـه ليـس لِجَيْـبي بـل لصنـدوق المقـام !!

* * *

المشهـــد الخامـــس

بين ولي الله وشهاب :

الولي : جـاءَني الليلـة آتٍ في المنـام صائحـا يهتـف حسـنٌ لهمـام
إن بكـرًا فسـدت نيتـه فـى توليهـا بحـبٍّ واحـترام

شهاب : إنـه يـا سـيدي مبتـدع

الولي : إنـه قـد تـاب عـن هـذا الإثـام

شهاب : **(في استغراب)**
ومتـى تـاب ؟

الولي : أتـاني نادمًـا أمس مما بثّ في النـاس السـمام
إذ دعونـا الله أن يهديـه سمـح الله بـإدراك المـرام

شهاب : **(في خضوع وتسليم)**
ليكـن مـا شئتم يـا سـيدي نحن نرضي رأي مولانـا الإمـام

* * *

المشهـــد الســادس

بين زهراء وخديجة :

زهراء : صديقـــتي ! إنَّ قلــبي ممــا فعلتـــم لموجـــعْ
أشـــتاقكم غــير أنـــي مـــن وصلكـــم أتمنَّـــعْ
فــإنَّ جرحـــي منكـــم فيــه الأســا[1] ليــس ينفــعْ
ولــو أطعــت صوابـــيَ مــا جئتكــم أتســكع

خديجة : زهــراء : لا بــأس بالعتـــب فهــو للــودّ أجمَـع
مــا ســاءَ قلبــك مــني ؟ قــولي لعلــي أرجــع !
فربمـــا خـــبٌّ واشٍ فينـا إلى الدحــس يهــرع[2]
وذا زمـــانٌ لئيـــمٌ فيـــه المـــودات تقطـــع

زهراء : إن همامًـــا شـــقيقي لـــه بقلـــبي موضـــع
فنيلكـــم منـــه نيـــلٌ مـــني بغـــير تـــورُّع

خديجة : زهــراءُ! أســرفت في تهْـــمَتِي ، فبَعْــضَ التســرُّع
فمـــا ذكــرت همامًـــا إلا بمـــا عنـــه يســـمع
مــن الخــروج علــى النــاس في تقـــاليد تتبـــع
قصصــت ذاك لعصمـــاءَ مـــن بنـــات المشـــفع
لأنهـــا همـــام رأيتهـــا تتشـــفع
قامـــت تدافـــع عنـــه بحجـــج ليـــس تدفـــع

---

(١) الأسا : مصدر أساه يأسوه داواه أي لا تنفع المداواة فيه .
(٢) الدحس : إفساد المودة بين الصديقين .

	وإن قلبي ليهوى	حبيب (حسن) المشيع
زهراء	إذن فماذا التأبي	منكم وهذا التمنع ؟
	إلا رحمتم فتًى من	هجرانكم يتوجع
	تكاد أحشاؤه من	نشيجه تتقطع
خديجة	: إن الإبا من شهاب	وما لما شاء مدفع
	لأن رأي شهاب	للعارف القطب يرجع
زهراء	: (في غضب)	
	القطبُ لِصٌّ عن	الإرتشاء لا يتورّع
	يشرى ويبتاع « حُسنًا »	خلف المطامع يهبع
	كأنها سلعة في	السُّوق تحطّ وترفع
	ألمْ يبعها « لبكرٍ » ذا	ك البغيض المُدفع ؟
	كأن سود الدياجي	بوجهه تتلفع
	ثم أرتجي من همام	همام ألفًا لكي يتشفع
	وربما باعها في	غدٍ لزيد ومرتع
	والناس ظنّوا أباكم	تسلم المال أجمع
	إن الوليّ عن السوءِ	عندهم يترفع !
	أبوكم ليس يدري	مما عن الناس يسمع
	ولو درى لتبرَّا	من الوليّ المرقّع
خديجة	: (وهي تتألم) :	
	أقد تُحَدّثَ عنا	بذاك في كل مجمع
	يا ويلتاه ! أنؤتي	من حيث لا نتوقع ؟
	إنا أناسٌ على عزّ	نحامي وندفع

أعراضنـــا هـــي أغلـــى مـــا في الحيـــاة وأمنـــع
لـــو كـــان يـــدري شـــهابٌ لمـــا تهنّـــا بمضجـــع
وسـوف يـدري عسـى عـن هـــذا المدجـــل يُقلـــع

(تتنهد وتستعبر)

يـا ليـت (سـعدًا) لدينـا في أمرنـــا اليـــوم يقطـــع
لمـــا ألانـــا اجتهـــادًا في أخـــذ مـــا هـــو أنفـــع
لكنـــه غـــاب عنّـــا تســـع ســـنين وأربـــع
في أرض (جـــاوا) الـــتي تـــأكل الرِّجـــال وتبلـــع
راحَ ليجمـــع مـــالاً لنـــا بـــه نتمتـــع
يـا بئـس مـا جمعـت كفُّـــه ومـا هـو يجمـــع !!
مـــاذا يفيـــد الغـــني مـــن يخســـر أهـــلاً ومربـــع
تزوجـــت « مزفـــةٌ » عُـــرْ ســـها بـــه لم يُمَتَّـــع
تُســـأل : أيـــن أبوهـــا ؟ فـــلا تُجيـــب ، وتدمـــع
وهـــذه أختهـــا أوشـــكت تـــزف وتخلـــع
فواشـــقاءَ حيـــاةٍ فيهـــا الفـــؤاد مـــوزَّع

* * *

المشهد السابع

(بين سالم وشهاب) :

سالم : مالي أراك كئيبًا ؟ مُنْتَقَمًا يا شهابُ ؟
فما أصابكَ ؟ قل لي

شهاب : إنـي بخطبٍ مُصابُ !
ذاك الذي كان يدعي بذكْره ويُجابُ
ومَنْ بغرته كان يُسْتَدَرُّ السَّحاب !
من كنت أبصِرُ أخطا ءَه وهُنَّ صوابُ
قام يُلوِّثُ عرضي بما به النَّاس عابْوا
فقيل إنـي طَمُوع بالمال وهو كِذَاب
لولا المُدَجِّلُ هذا لما علاني عابُ
لله درُّ هُمام فهو الحكيم العجاب
إذ قال : أمثال هذا في المتقين ذِئابُ !!
وإنما سترتهم عن العيون الثياب !
فما نراه شرابا ما هو إلا سراب

سالم : أنا الذي سلّمته مالَ هُمامٍ بيدي
فلا تكن من أمره في شكٍّ أو تردُّد
إن هُمامًا لَلعصا مِيُّ الكريم المحتد
مهما يقل فإنه زينُ شباب البلد
رآك لا تصغي إلى غير كلام (السيد)

ولم يجـــــــد إلا وليّ الله خـــــيرَ مســـــعد
فلـــم يـــدع رأي صديـــــ ـــقه الفتـــى « محمـــد »
ولم يكـــن ذاك الـــذي يهـــدي الـــورى بمهتـــد
مَـدّ إلى الدرهـــم جيــــ ـــدَ ذِلّـــةٍ في صَيَــدٍ !!
وكـــان مـــا كـــان فـــلا تغضــــب ولا تفنّــــد
أنـــت عليـــك الغُـــرم والغـــم لـــرب المـــدد !
هـــذا جـــزا تـــارك رأيــــ ـــه لـــرأي أحـــد !!

* * *

المشهـــد الثامـــن

(بين شهاب وبكر) :

بكر : يا عـم مـا الـذي جرى ؟ ردَدتَ مـــنيَ اليـــدا
ألســـت قـــد قبلتـــني فمـــا عـــدا ممـــا بـــدا ؟

شهاب : (يتجلد ويخفي غضبه)
حظـك يـا بكـر ـــ الـذي حـــلاً عنـــك المبـــوردا
فـاطلبْ ســـواها تلـــ ـــقهنّ كالرمـــال عـــددا

بكر : (في وقاحة)
وأيـــن أمـــوال الـــتي أنفقـــت فيهـــا بـــددا ؟

شهاب : لمـــن دفعتهـــا ؟!

بكر : لمـــوْ لانـــا الـــوليّ المقتـــدى !

شهاب : (في سخرية)

إذن فخذهـــا منـــه لا تطلـــب ســـواه أحـــدا

بكر : (معترضًا)

أعطيتـــه لأنـــه كـــان لكـــم معتمـــدا

شهاب : (في غضب)

خسـئتَ يـا نـذلُ فقـم وخـلِّ عنـك اللـددا !

أليـس فينـا حاكـمٌ يحكـم هـذي البـلدا ؟

فاشـكُ إليـه مـن علـى مالك ـ إن شئـتَ ـ اعتـى !

بكر : (في تضعضع وخجل)

إذن ... فمـالي كلّـه

.. أكلـه .. وازدردا ..

إذن ... فلـم يعطـكَ مـن مـاليَ ... شـيئًا أبـدا .. !

أمـا اكتـفى بمـا ارتشـا ه نصفَ ألـفٍ عـددا ؟

يـا ويلتـا ! واحسـرتا ! واحزَنـا ..! واكمـدا !

لأرفعـنَّ أمـرَه إلى الأمـير « أمجـدا »

أفضحـه عنـد الـورى ..!

شهاب : (وقد سرى عنه)

الآن أبصـرتَ الهـدى !

بكر : (يتنهد)

فليمـض مـالي لظهـو ر سـيئاته فِـدّي !!

* * *

المشهـــد التاســـع

(همام في مجلس الأمير « أمجد » وقد دعاه إليه) :

الأمير : أتــدري يــا همــامُ لأيّ أمــر دعوتـــك لي ؟

همام : لخـــير يـــا أمـــيري ؟

الأمير : ألم تعلـم بمـا اجترمتـه كفـــا ولي ا لله مـــن إثـــمٍ كبـــير ؟

همام : بلى هــذا حديـث قـد فشـا في حمانـا في الكبـير وفي الصغـير

الأمير : فمــاذا أنت يا سنــدي مشـير به في مثــل ذا الأمر الخطـير ؟

همام : أرى أن تَحْبســـوا الجانـــي وأنْ لا تمسُّــــوه بســــــوء أو نكـــير

فمطلق حبسه كاف ـ أراه ـــ لردع سـواه من أهـل الشـرور

الأمير : ولكـن والـدي يخشـى علينـا ـــ إذا عاقبته ـــ سوءَ المصـير

يُحـاذِر دعـــوةً منـــهُ علينـــا فتُلحِقُنـــا بأصحـــاب القبـــور

همام : أمير ما عهدتـــكَ غير حـــرٍّ طليـــق الفكر متقد الشعـــور

وحســبك ما قـــرأت عليــــك طـــردًا لأوهــــامِ توســــوس في الصُّـــــدور

أتعـــرفُ إثمـــهُ وتخـــاف منـــه ؟ أتقبــــل دعــــوة العاصي الكفـور ؟؟

كـذاك الوهـم تُشـربه نفـوس فتشـهد مـا تُخيَّـل مـن أمـور

وقــل لأبيــك ذا بكــرٌ شـــكاه وهتّـك مـا عليـه مـن ستور

فلو كان الولي لديــه حـــولٌ لكان رمـــاه بالسهـــم المـبير

فإن تحبسه جئت بـه دليـلا يسجّل عجز أقطاب الغـرور
فليـس أذاه مقصـودًا ولكـن لِيبْطـل سـحرهُ بيـد الأمـير !
الأمير : لقـد قـررت هـذا الـرأي قبـلاً فبورك في ذكـائك مـن مشـير
وإن الدّجل أبغـض كـل شـيءٍ على الدُّنيـا يضيـق بـه ضمـيري

* * *

المشهـــد العاشـــر

(يأتي لزيارة محمد فيستقبله محمد في غاية الحفاوة)

شهاب : محمدُ أنـتَ الجـريءُ الفـؤاد وأنـت صديـق هُمـامَ الـوفي
فلـو كـان مـن ربِّـهِ مُرسـلا لكنـتَ حواريَّـه المقتفـي
وتعلـم مـا كنـت أوذِي هُمـا مـا به غيرَ هـادٍ ولا منصـف
أتـابعُ في أمـره مُفسـدًا يبيـع ويبتـاع بـالمصحف !
وإنـي علـى مـا مضـى نـادمٌ وأنت بإصلاح أمـري حفـي(١)
محمد : ألا مرحبًـا بالسَّـليم الفـؤاد وبالطّـاهر السيرة الأشـرف
بعتم حبيْبة خير الرِّجال بمن لا بصهْـر هُمـام الوديـع الصَّفـي
بمن لا يُقِـرُّ علـى المنكـرات وليـس يُطـاطئُ للمِعْسَـف(٢)
همـامٌ يُحبّـكَ مهمـا فعلـتَ بـه عـن ولائـك لا ينتفـي
يـراكَ أبـاهُ فمهمـا قسـا عليـه لتأديبـهِ يعطِـفِ

---

(١) عارف وخبير . (٢) هو الظالم الشديد العسف .

(يبتسم شهاب وتتهلل أسارير وجهه)

شهاب : فلله ما كان أنقى همـا مًا وأشرفَ أخلاقهُ الساميه !
أضارسُه ثم يبقى ودودًا علـيَّ طويَّته صافيه ؟
محمد : بقدر نبالَـةِ أخلاقِهِ يحبُّ حبيبتَهُ الغاليه !
تمادي به حبُّها فهو لا يقِرُّ القرار له ثانيه !
يبيت يناجي نجوم السما ء ويخضع أدمعه العاصيه !
ويجلس في بيتهِ للطّعا م إذا ما أجاب له داعيه !
فيُذهلُه الحبُّ عما لديه حتى لتنكفِئُ الآنيه !!
وإني لأخشى عليه ـ إذا تماديتم ـ الضربة القاضيه
هنالك نخسر زَيْنَ الشبا ب ونحرَم أنفاسَه العاليه !
ويسألكَ الله عن مهجةٍ ـ قضت بك مصلحة هاديه

شهاب : (وهو يبكي)

كفى يا محمد ! إني أتيت لتكفير أعماليَ الخاطية
فلو كان ذنبُ هُمامٍ فحسب عليَّ لخفَّ على باليَه
أزوِّجُه اليوم من حسنِهِ فيغفر زلاّتي الماضيه
ولكنني قد عصيت الإله وعرّضت نفسيَ للهاويه
لقد غرَّني وعد ذاك الوليّ بمحو خطيئاتيَ الخاليه
وبشَّرني أنه قد رأى قصوريَ في الجنة العاليه
فلم أتزوَّدْ لدار البقاء اتّكالاً على الزُّلفِ الواهيه
فأيقنت ذا اليومَ أن ليس ينـ ـفعني غير أعماليَ الزاكيه
وأن ليس يمحو خطايايَ غير النّصوح من التوبة الماحيه
نصائح كان ينادي بها همامٌ فنرمي بها ناحيه
فها قد بدت لجميع الأنام مخازي مُدجلنا الغاويه

محمد : سلامٌ عليك دموعك هـذي لتطهير أدرانها كافيه
فلا تبتئِسْ ، إن ربًا هداكَ ليبغي بكَ الخيرَ في الثانيه

« يريد شهاب النهوض فيمسكه محمد قائلا »

وأمرُ هُمام ؟؟

شهاب : وماذا يريد همـامٌ وليس لحُسْنٍ سواه
هي اليومَ بينَ يديه وما مُناي من الدّهر إلا رضاهْ
ولكن. حديث (الرُّشى[1]) المستفيض شوّش أفكار أمِّ الفتاه
فما زال يلهَج أهل الحِمى بأن (الوليَّ) همامٌ رشاه
وأن شهابًا تسلَّم أموالَ بكرٍ ولم يُعطه مُبتغاه
فقالت نؤخّر تزويجَ حُسنٍ لِنقطع ألسن هذي الوشاه
فما كان لِلمال إيثارُنا ولكن لعلمٍ وفضلٍ وجاه
فأوص صديقك أن يطمئنّ إلى الصبر حينًا ليلقي مناه

محمد : ألا ليت شعري ماذا يقول همامٌ إذا رُعته بالخبر ؟!
أقدّم باقة زهر له وأطوى له الصّلّ بين الزهر
فلو رُحت تنصَحُها بالعدول عن رأيها ! علها تأتمر !
علامَ تبالي كلام الطّغام وما ينطقونَ بغير الهذَر ؟
وأعيان (سيوونَ) تدري الحقيقَ وبعد غدٍ يظهر المستتر
سَيُحْبس هذا الوليُّ الشقي وتفضح سوءاته والعرر

---

(١) جمع رشوة .

شهاب : لعلكَ تجهل أنّ النساءَ إذا قلن شيئًا فهُن القدَر
ولا يَرعوين عن الرأي لو وضَعْتَ بأيمانِهنَ القمر
فكم قد سعيت وكم قد نصحت ولكن كأنّي نصحت الحجر

محمد : إذن لن يطيق همام المقامَ هنا ،

شهاب : ليرحْ نفسه بالسفر
إلى الشام أو مصر أو للمهاجَر (جاوَةَ) أو للبلاد الأخر
وبعدَ ثلاثين شهرًا يعود ، وسوفَ تمرُّ كلمح البصر
هنالك تبلغ سِنَّ الزّواج (حُسْنٌ) وتنضج نضج الثمر
وربَّمَا عاد (سعدٌ) إلينا فيزهو به عُرْسنا إن حضر

(ستار)

الفصـــــل الثالـــث

المشهـــــد الأول

« بين همام وزهراء » .

زهراء : (في جزع)

أهمـــامُ خـبّرني بـــودّك لي   مـــالي أراك تنضّــد الكتبـــا ؟
مـاذا اعتزمتَ أأنــت تاركنـا   للحادثـات تسـومنا الكربـا ؟

همام : (في حنو)

لا يـا أخيَّــة ! أجملـي جزعـا   لا ينـس قلـب المؤمـن الربـا
سـفري لطـول إقـامتي سـببٌ   ولـرُبّ بُعـدٍ أعقـب القُربـا

(يتغير وجهه)

إنـى أخــافُ إذا مكثـتُ هنـا   أن لا أطيـقَ فـأقضيَ النّحبـا !

(يخالط صوته البكاء)

أيسرُّ قلبـك أن أمـوت أسـىً   في الرّبـع إذ تبكيـنني ندْبـا ؟
أو ما رأيـتِ القـوم قـد قطعوا   صوتَ الحيـاة وكـان قـد لبيّ !
حفلوا بسمعتهم ـ كما زعموا ـ   لكنّهــم لم يحفِلـوا الصّبـا
لِيمُـت شـهيدًا مـن يشـاءُ ولا   يتوهمـوا في عِرضهـم ثلْبـا
آه ! أهــذا كلُّ ما أ تمنـــى ؟   ولقد وهبتُ الـروحَ والقلبا !

(يتذكر حسنا ويستحضرها كأنها ماثلة أمامه تسمع ما قاله فيستحي مما تكلم به في أهلها)

يا حسنُ ! معذرةً فأهلك نا	لهم الملامُ وما جنَوْا ذنْبا
حاولتُ عَتبهمُ بتَوْءدةٍ	لكنني لم أُحسن العتبا
ورضاك همي في الحياة ؛ فإن	ترضَىْ رأيتُ عذابها عذبا !
وإذا غضبت غضبت في بصري	فأرى الخليقة كلها غضبى !

(ينتبه من ذهوله إلى أنه بحضرة أخته الحنون)

زهراء خليني لأرحلَ عن	هذي الديار فأسلوَ الحبّا
فلقد لقيتُ به دواهي له	رُعْنَ الجبالَ تركنها تربا
هيهاتَ هيهاتَ السُّلوُّ ! ويا	ليت السلوَّ يُباع أو يُجبى !
أفكلما سَفَرَ اللقاء أتى	آتٍ فسدَّل دونه الحجبا !
أو كلما ابتسم الربيع لنا	جرت الدبور وهبَّت النكبا ؟

زهراء : (آسفة على أن هيجت أخاها مشفقة عليه)

عفوًا هُمام فليسَ قصـ	ـدي أن أهيجك يا ابن أمي !
لكن شجاني أن تفا	رقنا وتركب ظهر يمّ
إنَّ البلاد لسوف تَفْـ	ـقد فيك نجمًا أيّ نجم
نجمٌ يفيض هدايةً	وسناهُ من خلق وعِلم
تبًّا لدهر دأبُه	يَرمي أفاضِله فيُصمي
أيصَدُّ مثلك عن مطا	لبه ويُمتَع كل فدْم ؟
أهمام إن كنت اعتزمتَ	على الرحيل فخيرَ عزم
إذهب وعُدْ عما قريـ	ـب بين عافيةٍ وغُنْم
سيكون ربك حافظًا	لك في الفلاة وفي الخضم
ولسوف تدرك ما تؤمِّـ	ـلُ ما ظللت إليه ترمي
ثقتي بحسن أن تُعيـ	ـدَك خففت حزني وهمي

همام : (في حزن وأسف)

لكـــنَّ حُســـنًا لم تشـــأ تنويـــر خطـــبي المدلهـــمّ
كـــم قـــد كتبـــتُ لهـــا الرســا ئـــل بـــين منثـــور ونظـــم
فتصـــدّ عنهـــا لا تجيـــب كأنهـــا لا تعـــرف اسمـــي !!
وطلبـــتُ منديـــلاً لهـــا ليكـــون في الظلمـــات نجمـــى
ويكـــون أنســـي في البعـــا د يكـــفُّ مـــن حزنـــي وغمـــي
آوي إليـــه إذا نـــزا قلـــبي بضـــم أو بلثـــم !
ولقـــد أتـــاني ردُّهـــا لكـــن تعـــثر فيـــه فهمـــي
وإليكِـــهِ فاتليـــه ثـــمّ اقضـــي على حُســـن بحكـــم

(يناولها رسالته إلى حسن وعلى ظهرها الرد منها)

الرســالـــــة :

حبيبـــة قلبـــي علّليـــني بتنويـــلِ
أقَـــضٌّ زمانـــي في رجـــاء وتأميلِ
بعثـــتُ إليكِ الكتب تترى ، فلـــم أفز
ببعـــضِ جـــوابٍ منكِ يا غاية الســـول
كأني لم أحمـــل هـــواكِ ، ولم يكـــن
لقـاؤك قصـــدي في الحياة ومأمـــولي !!
وهـذي النوى قد أوشكت أن تميل بي
إلى عـــالمٍ من رقعـــة الأرض مجهـــول
أقَضِّي به دهـــرًا قضيتـــم به علـــى
حُشاشـــة صـــبّ عاثِـــر الجدِّ مخذول

فجـــودي بما أمَّلـــتُ منكِ وأجملـــي
وداعـــًا لمفتـــون بحُبـــكِ متبـــول
وإني لراضٍ منكِ يا حُسْـــنُ باللّفـــا
بقطعـــةِ ثـــوب أو بشقّـــةِ منديل ،
لعلـــي أسْطيـــع ابْترادًا من الجـــوى
بضمّـــي إيّاهُ لصـــدري وتقبيلـــي ؟
همـــام

الـــــرد

جوابُكَ عنـــدي ما تظنُّ ، فلا تـــرم
بكُتْبـــك إحراجـــي فإنك ذو علـــم
وإني فتـــاةٌ ليس أمـــري في يـــدي
فإن شئتَ فاطلـــب ما تؤمّل من أمـــي
حُسن

زهراء : **(تلتفت إلى همام والكتاب لا يزال في يدها)**

همـــام أمّـــا جـــوابُ حُسْـــنٍ	فإنـــه أبلـــغُ الجـــواب
دلَّ علـــى الحـــبِّ والتفـــاني	فيـــكَ إلى عِفّـــةِ الجنـــاب
وإنهـــا إن تحـــبَّ يومـــاً	ففـــي حمى الصَّون والحجـــاب
إن كتابًـــا يـــأتيكَ منهـــا	رســـولُ آمـــالِك العِـــذاب
ما تبتغـــي أنـــتَ فـــوق هـــذا	يأتيك من غـــادة كعـــاب ؟
لـــولا هـــوًى صـــادقٌ لديهـــا	لم تـــر منهـــا نصـــف كتـــاب
وســـوف آتيـــك بالذي رمْـــ	ـــتَهُ فـــلا تبـــقَ في اكتئاب

المشهـــد الثانــي

(همام على حماره في طريقه إلى الساحل (المكـلا) بعـد أن شيعه إخوانه وأصدقاؤه . أمامه دليله البدري عامر يقـود جملا له يحمل زادهما)

همام : رويـدًا رويـدًا حِمَـار البعـادِ — فـإنك تبعدُ بي عن حبيـبي !
ولم يك خطـوُكَ فـوق الـثرى — ولكنـه فـوق قلـبي الكئيـب !
أراك كنعشٍ بجسـمي يسـيرُ — ولكـن إلى غـير قـبرٍ قريـب !!
فيا بعـد (سَيْوون) عـني؟ ويـا — ذُنُوْكِ (جاوةُ) من ذي السُّهوب!
عليهـا السـلام سـلامُ الـودا — ع، سلامُ البكاء ، سلامُ النحيب
سلام على حسن بين العذارى — سلام على قلبهـا في القلـوب !
سـلام على دارهـا في الديـار — سلام على دربها في الدروب ؟
سـلام علـى أهلهـا الطيبـين — مـن كـلِّ بَـرٍّ كريـمٍ نجيـب
سـلام علـى وَطـنٍ طـاهر — تضوَّع منهـا بمسـكٍ وطيـب
سلام سلام على ساعدي الـ — أشـدَّ وصِنْوى المطيع الأديـب
سلام على خـيرة الأصدقـا — ء محمـدٍ الألمعـيّ الأريـب
سلام على لطـف زهـراء إذ — تفرّج همي ، وإذ تعتـني بي !

(همام فى بلاد الأحقاف)

(يخرج المنديل من جيبه فيضمه إليه ويقبله)

أتعلم يا منديـل أنّـكَ مُؤنسـي ... وأنّـك عنـدي للكريـم المحبـب
وما ضرَّ من ينأى ـ وأنت بكفه ... أنيـس نـواه ـ أنـه يتغـرّب

(يمر على آثار مزارع قديمة مندرسة يتمهل في السير قليلا يتأمل في تلك الآثار) .

انظر إلى هـذي السـهول فقـد ... كـانت مـزارع مـا لهـا حـد
كـانت جنانـا لا فُجـاءَ بهـا ... ـ غير الممر لراكب ـ تبـدو[1]
من عدوة الوادي القصيّ إلى الـ ... أهضـام مـن حَـذْراه تمتـدُّ
عمَر الجُدُودُ بهـا مواطنهـم ... فغنّـوا وعيشـهم بهـا رغـد
ما بعد عام الألف ما قدُمَتْ ... منـه العهـود ومـا بهـا بُعْـدُ
لما تجفُّ بها مواطـيءُ أقْـ ... ـدَام الألى اشتغلوا بهـا بعـد
البُرُّ والسمراءُ ، والذُرّة الـ ... ـبيضاءُ والأفـواهُ والرنـدُ !
والنخـل والأعنـاب حافلـةً ... بقطُوفِهـن كأنهـا شـهد !
والسِّدر يفرش في الفضا بسطا ... مـن سُـنْدسٍ خُضـرا فينسـد
فهنـالك النعمـاء تخطـر مـا ... بـين الحقـول يزينهـا الـبرد
لله عيشـهم فـلا كَـدرٌ ... يعتـاق صفوهـم ولا جهـد
دَعْ عهدهـا العـاديَّ من قِدَمٍ ... فلقـد تقـادم ذلـك العهـد
إذ كانت الأنهـارُ جاريـة ... تحـت الجنـان كأنها الخلد !

---

(١) الفجاء جميع فجوة . ورد في الرحلة المتوكلية وصف حضرموت على عهده حوالي سنة ١٠٦٠ أنها كانت بساتين ممتدة من حضرموت إلى المسفلة لا فجوة بها خالية من الأشجار والزروع إلا مقدار ما يمر الراكب .

تلـك الحقـائق لا يُصدقهـا ... قـوم عيـون قلوبهـم رمـد
تلكـم بقاباهـا تـدُلُّ علـى ... مـا كـان ـ سَدٌّ دُونـه سـد !
يجتـاز مـاءَ القطـر يقسـمه ... بين الأراضـي حُكمهـا القصـد
فنمت مزارعهـا فمـا فَتِئَـتْ ... فيهـا الغيوث تـروح أو تغـدو
هي سُنَّةُ البـاري فمـا كثر الْـ ... ـأشجار فالأمطـار تشـتد

* * *

قف سائل الآثار كيـف ذوت ... تلـك الخمـائل فهـي ذي جُـرد
تخبرك إن نطقـت : وربَّتمـا ... نطـق الجمـاد وقولـه الرشـد
في بطـنِ أرضٍ أنـت واطئهـا ... همـم تصـول فليـس ترتـد
تصبـو إلى العمـل المفيـد تـرى ... أن السـعادة ركنُهـا الجِـدُّ
فتلاهُـمُ خَلَـفٌ كـأنهم ... لا سـاعدٌ لهـم ولا زنـد !
فَسَـبِيْلُنا ترديدنـا أبـدًا : ... نعم الجـدود وبئسـت الولـد !!

* * *

المشهـــد الثالـــث

في منتصف الطريق على مقربة من الريدة (بلاد البدو)
(همام يلتفت ـ وقد كادت الشمس تغرب ـ إلى بدوية عامر)

همام : سر يا أخا البدو وحَثحِث جملك لا يُظلم اللّيلُ ويشتدَّ الحلك
ونحنُ لمَّا نأت بعدُ منزلك أبلغكَ الله بخيرِ مأملك
ولا أصابَ الحبُّ يومًا مقتلك

عامر : هُمام يا خير سَراة العُرب لا تذكر الحبّ لِعانٍ صبٍّ
متى دعا داعي الهوى يُلبّ إني أحسُّ ضرمًا في القلب
يدفع في صَدري ويكوي جنبي !!

همام : بالله هل تُعْرف معنى الحب؟ وما به من فرَح وكرب
وهل سَعِدْت مرة بالقرب أم أنت مثلي مستطار اللبّ
لمّا يَفُزْ من حوضه بشرب

عامر : أنتَ إذن يا صاحبي سعيدُ وإنّي وحدي أنا المعمود
من بعد ما طابَ ليَ الورود حَلاني عن حَوْضِها الصُّدود
فليسَ ليَ صَبرٌ ولا مَجلود

همام : أنت السَّعيد وأنا المنكودُ فالوَصل مهما قلّ فهو عيدُ
تُشفَى به من دائها الكُبود لكنَّ هجري الأبَدُ الأبيدُ

ليتَ الزّمـــان لي بــه يجــود وبعــدَه تطويــنى اللُّحــود !!

عامر : يَظهر لي من بعض ما أراكا أنـك تهواهـا كمـا تهواكـا
يا ليت حظي من وجودي ذاكا إذن لكنت حامـدًا مـولاكا
وما شكــوت مِثــلَ مُشــتكاكا

همام : عـامر ممـا زادَنـي ارتباكـا أنّـا اشتركنا في الهوى اشتراكا
أشكو نواها وهي تشكو ذاكا فيَستهـلُّ مَدمعـي اشتباكا
لـمـا بَلاهـا وبَـلا أخـاكا

عامر : (في حـزن)
لا تحسَبَنَّ هَجرها هجرَ شـرَف لفرط غنج أو دلال أو ظَـرف
لكنه أشنَـع ذنب يُقـترف تَتْركـني زوجًا إلى غيري تزف
وصـكُّ عقـدِها معـي لما يجـفْ

همام : ربّاه في كـل مكانٍ ذو شغف يُسلمه الحبُّ إلى مهوى التَّلف
رحماك بالعشاق من جور الهيف ما غار من غور و لم يَعل شرف
إلا وفيـه مغـرَم القلب دنِـفْ

* * *

المشهـــد الرابـــع

(يصلان إلى حي عامر في الريدةِ (بلاد البدو) . يذهب عامر لسقي جمله وإراحته ويسلم هماما لأخته ناهية)

ناهيـة : (منتقبة لا يرى منها إلا عيناها)

أهـــلا بمـــن وافـــى دار أخـــي عـــامر
إنـــزل علـــى الرحـــب في المـــنزل العـــامر
وأمـــر بمـــا شئـــت فإنـــك الآمـــر

(تهيئ أدوات القهوة وتباشر إصلاحها)

همام : بـــورك يـــا أخـــتُ فيـــكِ وفي عـــامر
سَـــرَّيْتما عـــنيَ بلبـــاليَ الثـــائر
سماحـــةُ البـــادي يجهلهـــا الحـــاضر

ناهية : **(منادية)**

هلـــمّ يـــا سُـــعْدَى هلـــمّ يـــا لُبْنَـــى !
لنلـــمّ حيّـــين ضيـــف أخيكَنَـــا

(تدخل فتاتان جميلتان متلثمتان وتصافحان هماما . ينظر إلى إحداهما همام نظرة كالسهم . تلاحظ ناهية ذلك) .

ناهية : **(لهمام)**

إنـي أرى عينيـك عيـني شـاعر قـل مـا تشـاءُ ويـك لا تحـاذر
لا بأس عنـدنا بلحـظِ الناظر إنّا نـرى العفّـة في الضمائـر

همام : رأيـــت بـــدرًا نصفـــه في السـحب والنصــف مبـين
هــبي عليهـا يـا نسـيم واكشــفي ذاك الجبـــين !

(تضحك الفتيات وتقهقه ناهية)

ناهية : لـــو أزاحـــت لثامهـــا لـك مـا أنـت فـاعل ؟
ولـــو انجـابت السحائـــب مـا أنـت قـائل ؟

همام : ســأريها الغِـزال لـــو أن بـــدرًا يغـــازَل
وســـتروي روائعـــي في هواهـــا القبـــائل

ناهية : همــامُ ! مـــا البدويَّـــا ت عنـد غيـد المدائـــنْ ؟
الموقَـــراتِ مـــن التـــبرِ حاليـــات المحاســـن
كأنمـــا أنـــتَ بـــالبَد و ســـاحر أو مداهـــن !!

همام : لا والــذي فلـــقَ الحَـــب ، سـرُّه فيـه كـــامنْ
لفـــي المَهَـــى البدويَّـــا ت معجـــزات المحاســـن
لحـــاظهن ســـهام لهـــا القلـــوب . كنـــائن
قدودهـــن رمـــاح في كـــل قلـــب طواعـــن
جمـــالهن الطبيعـــي زاخـــر بالمفـــاتن

ألم تسمعي ما قال شاعر يعرب   أبو الطيب السامي على كل شاعر
تحامي حسان الحضر في الشعر ناسبًا   بما في البوادي من مهيّ وجآذر
ما أوجه الحَضر المستحسنات به   كأوجه البدويات الرعايب
(حُسن الحضارة مجلوب بتطْرِية   وفي البداوة حسن غير مجلوب)

(يدخل عامر)

عامر : يا مرحبًا بهمام النّدب   إنزل على سعةٍ على رحب !
هل تشركوني في حديثكم   فلعلّكم تجلونَ من كربي

ناهية : ضيفكَ يهوى البدويّات   ولا يحب الحضريات

عامر : أتحِبُّهن همام ؟ إنك شاعرٌ   ماذا تعشّق في ظباء الباديه ؟

همام : أهوى بساطتها وأهوى دلها   ولحاظها مثل السهام الماضية
وتُميلني سكرًا طِوال قدودها   وتَشوقني منها الخلال العاليه

عامر : إن كنتَ تعشقها فخذ لُبْنى   (مشيرًا إلى لبنى)
وخذ إن شئتَ سَعدى (مشيرًا إليها)
(مشيرًا إلى ناهية) أو فخذ لك ناهية

(يضحك الجميع ويضج المجلس بالضحك)

ناهية : أما أنا فلا أحبُّ شاعرا   يَلفِظني تمرًا ويهواني رطب

يُطالع الغيدَ الحِسانَ دهرَه فكلما أبصرَ حسناءَ نسب

همام : إني لأدرى من طباع الغيد ما يُبين لي من قولك المشْتبَها
لا شيء كالشاعر أحظى عندها وإن تكن تكرهه زوجًا لها

عامر : بأيِّ شيءٍ يفْضلُ الشاعر يا همام عند الغانيات من عداه ؟

همام : لَقبلةٌ واحدة من شاعر أحلى وأشفى من ألوف من سواه
يودِعها مُهجته فيرتوي منها الهوى . وينقع الحب صداه
يطبَعُها على الجبين ذاكرًا كل خليل في الزمان وهواه !
كأنما يجمع تاريخَ الهوى بقبلة الخدَّين أو لثم الشفاه

(ينتفض انتفاضة فجائية كأنما تذكر أمرًا عظيما . ويبقى ساعة في ذهول)

أستغفر الحب لقد أشركتُ في عبادته
ماذا أقول لحبيبي خُنته في غيبته ؟
أيدَّعي هواه مَن يُخفِره في ذمته

* * *

كأنني بالحب يبلو ني بسوط نِقمته
ألحدتُ في توحيده لم أخشَ من عقوبته
أكلما لاح جمال هِمت في صبابته ؟

ناهية : عـــامر ! مـــا للضيـــف لجَّ غارقًـــا في غشـــيته ؟
إنـــي أخـــاف أن يصـــابَ في الحمـــى بميتتـــه

عامر : دعيـــه ! خليـــه ! فـــإني عـــارفٌ بمحنتـــه
سيـــنجلي عنـــه الـــذي أصابـــه مـــن ســـكرته

همام : (باقيًا في ذهوله غير منتبه لما بين يديه مستطردًا في حديثه)
يـــا حســـنُ ! لا تعـــاقبي عبـــدك في جريمتـــه
فقـــد أتـــاك تائبًـــا مـــن ذنبـــه وهفوتـــه
مـــا كـــان إلا عـــابدًا حُســـنك في قداســـته
يشـــهَده في كـــل وجـــ ـــهٍ زاخـــر بفتنتـــه
في طَلعـــة البـــدر ، وفي الظـــبي وحُسْـــن لفتتـــه
وفي زهـــور الـــروض في ربيعـــه ونضرتـــه
وفي وجـــوه الغيـــد شـــيءٌ مـــن ضيـــاء غُرَّتـــه
يختلـــف المحـــراب والـــر بُّ بوحدانيتـــه

(يـدار بعـامر ويغشى عليـه . ترتـاع أخواتـه وتـأخذن في تنبيهه برش الماء عليه)

ناهية : عامــر!

عامر : هـــا !

سعدى : عامـــر !

عامر : هـــا !

لبنى : عامــــــر !

ناهية : قـــم يا عامـــر !

همـــــام

همام : (مفيقًا من ذهوله)

مــا لعــامر ؟ هـــل نـــ ـــــام ؟

ناهية : (لنفسها) يهـــذي الآخـــــر !

(ثــم لهمـام) أمـا تــراه ســاقطًا مغمـــى عليـــه يـــا همـــــام ؟

روعتمـــــــــــا قلوبنـــــــــــا الليلـــة في هـــــذا الظـــــلام ؟

همام : لا تخــافي ســوءًا علــى عـــامر إنــي لأدرى بمــا يعانيــه عـــامر

أسمِعيــه اســم زوجـــه يصـــــ ــحُ من إغمائـــه

ناهية إنهـا لـزوج غــادر !

همام : إن تكـــن غــادرًا فــإن هواهـــا لجَّ في نفس عـامر والشراشـــر !

ناهية : إنـه قـد ســلا هواهـــا ؛ أيهـــوا ها وقد آثرت عليـه ابـن جـابر ؟

همام : صدّقينـــى بأنـــه مـــا ســـلاها إنـــي عـــارف لـــه ومخـــامر

ناهية : غصـــنُ ! يا غصـــنُ !

عامر : (يمسح جبينه)

أيــن غصـــنٌ أجـــاءت ؟ مرحبًا مرحبًـا بـأكرم زائـر !!

راجعيـــني يـــا منيـــة القلـــب بـالله فـإني لـما جنيـتِ لغـافر !

(بصوت منخفض)

أو فخافي من عامر فسيرديـ ـك - على رغم أنفه - وابن كاسر

(يجلس فلا يرى إلا همامًا وأخواته)

أين غصنٌ أيممت جهة المخدع؟

ناهية : يـا عـامر انتبـه يـا عـامر !!

لم تجئنا غصن ودع عنك غصنًا إنَّ في حيِّنـا مئـات الحرائـر !

همام : (لعامر)

عـامر قـم بنـا نصـلِّ فرضنـا

(يلتفت للنسوة)

وقمـنَ أنـتنّ فهيئـن الوضـوء

وقمـن صلـين جميعًـا خلفنـا

ناهية : ويحك هل على النساء مفترض ؟

لا نعرف الصلاة هـل تريدنـا مثـل الرجـال للصـلاة ننهـض ؟

حسـب الفتـاة عندنـا اسـتقامةً بـأن تصـوم الشـهر إذ ترمـض

عامر : حتى الرجـال بعضهـم يصلـي والأكـثر الأكـثر مـن تخلَّـى !

وكنـت فيمـا مـرّ مـن أيـامي أخشى من الخمس على أنعامي

فإن غضبت مـرة على جمـل رميتـه بركعتيـن فاحتمـلْ !

حتـى علمـتُ بعـد ذاك أنـه　　وهـمٌ فأقسـمت لأتركنـه
ومنـذ ذاك مـا تركـت الخمسـا　　ومـا رزئـت بَكـرةً أو عنسـا

همام　: رباه هل تبلـغ دعـوة النـبي　　إلى ربي الصين وأقصـى المغرب
وتخطئ الدعـوة أرض العـرب ؟؟

عامر　: همـام ليس الذنـب للأعـراب　　الذنـب ذنـب قـارئي الكتـاب
من ساكني الحضر ذوي الألباب　　إذ لم يبثـوا دعـوة الوهـاب
في البدو أهل الجهل والغـلاب　　وعطّلـوا بأوهـن الأسبـاب
وصيـة النبـي والأصحـاب

همام　: (في أسف وحزن)

شـغلتهم قبـابهم والقبـورُ　　أن يقومـوا بدعـوة أو يسـيروا
حسبوها في نسكهم كل شيء　　فعـلام الإدلاج والتهجـير ؟
كل (شيخ) و(سيد) عنـده قبر　　إليـه التيسـير والتعسـير !
وإليـه اللجـا وفيـه المرجَّـى　　وعليـه التكـلان وهـو المجيرُ
كاشفَ الضرّ إن أُصيبوا بسوءٍ　　فإليـه ابتهـالهم والحضـور
وإذا مـا ابتغَـوْا قضـاء مـرام　　فإليـه قربـانهم والنـذور
كيف ترجى هداية البدو منهم　　وهـمُ عـن سنا الهداية عـور ؟
إن حسـب البداة أن يستظلوا　　في حمى دَجلهم وأن يستجيروا
ويكونـوا على هواهـم نـزولا　　بيديهـم شـئونهم والأمـور
حسب ذلك الخضوع لُيضحُوا　　سُعـداءً وذنبهـم مغفـور

آه لو هُذّبَ البداةُ لأمسوا وبهم للأنام خير كثير
ولكفوا عن قتل بعضهم البعض وقَطع السبيل وهو كبير
ولساد الأمانُ وانبسط الخير وزال الشقا وعم السرور

* * *

المشهد الخامس

(تشرق الشمس ويقوم عامر يشد جمله وهمام يشد حماره يتهيآن للسفر)

همام : **(راكبًا على حماره وعامر يحث جمله)**

عامر ما كان حديث البارحة ؟ سوء ختام بعد حسن فاتحة

عامر : أنت الذي شَببتَ بالتذكار نارًا بقلبي يا لها من نار !

همام : كيف انطرحت ساقطًا مغمى عليك ؟!

عامر : كيف هذيت والنسا بين يديك

همام : لا . ما هذيت ...

عامر : وأنا لم أنطرح وإنما قلت لجسميَ استرح !!
أوّاه ! لو لم تكن اليوم معي لكان لي شأن مع الخِب الدعي !

همام : يا عامر اتَّئدْ وخلِ الطيشا فقتلك النفس يُمرُّ العيشا
دعها وما اختارت وخذ سواها فأبلغ النفس بها مناها

عامر : همام هبها لك هل تقوى على أن تلزم الصبر على هذا البلا ؟
لا والنبيِّ المصطفى المختار !

همام : ويحك ! لا تحلف بغير الباري
فإنه نوع من الإشراك بخالق الأكوان والأفلاك
وقد نهانا عنه سيد البشر أليس في قول الرسول مزدجر ؟

عامر : أقسمت بالله ورب البيت ورازق الحي ومحيي الميت
لأسقينَّ النغْلَ موتًا أحمرا وأروين من دمائه الثرى
وأفتكنَّ بعده بالفاجره أقذِفها قبلي لدار الآخره !

همام : يا عجبًا تقتلها وترتقب بعد لقاءها بدار المنقلب ؟

عامر : إني أحبها ، ولولا حبها لكان مني الطلاق حسبها
تأبى عليَّ غيرتي عليها تركي سوايَ آويا إليها
يرغم أنفي أن أسومها الردى وبعدها سوف أموت كمدًا !

همام : ألا تخاف غضب الرحمن في قتلك الأنفس بالطغيان ؟

عامر : من ذا يخاف الله بعد اليوما ؟ قد ذهب الناس فخل اللوما
أنت تقول الحلف بالنبي محرّم في شرعه السوي
فانظر إلى الأنام هل تورعوا عنه بنهي المصطفى وامتنعوا ؟
أما تراهم يلهجون بالقسم جهلاً بكل رمة من الرمم ؟
يرون إيلاءً بعبد الله أعظم من إيلائهم بالله

همام : ما أنت والناس ، عليك نفسك فليس من يدخل منهم رمسك
أعزز علي أن أراك عاقلا منور الفكر وتغدو قاتلا

عامر : همام إني شاكر ودادك ونصحك الممحوض واجتهادك
فإن أطقت الكف عن ضلالي فالفضل للنصح النفيس الغالي
وإن تغلّب الشقا عليه فلست إلا من بني غزّيه !

* * *

الفصـــــل الرابـــع

المشهـــــد الأول

« همام ـ خارج باب مدينة الشحر ساحل حضرموت عائدًا إلى سيوون ـ بعد أن قضى عامين ببلاد جاوا ـ راكبًا على حماره ومعه دليله النجاب حاملاً فوق ظهره رزمة من الكتب في غلاف من الشمع المتين » .

همام : أسرع السير يا دليلْ ! أسرع السير يا دليلْ !
إن بي ظمأةً لما ء بسيوون سلسبيل
بُلَّ مني صدى الجوى واشف من جوفي الغليل
ليت شعري ـ وكادت النفس من يأسها تسيل
ومضت أربعٌ طوالٌ ـ وعمر النوى طويل ـ
في انتظاري ـ والانتظار لأهل الهوى قتول
أترى الوصل لي متاح أم الوصل مستحيل ؟!
أئذا ما دنوتُ ميلا تباعدْتُ ألف ميل ؟!
قسمًا بالحبيب ! ـ أستغفر اللّه ! ـ بالجليل
لا أرى الوصلَ ممكنًا أو أرى وجه الجميل
وأراه بعين رأسي بلا حائل يحول !
وأحس اليمين في فرعه مرة تجول !

ضاق صدري ، وعيل صبـ ـري وضلتْ بي السبل !!
وتناهى بيَ الجوى وبرى جسميَ النحول
وتداعت أضالعي من نشيج ومن عويل
واستحالت قريحتي من ذكاء إلى ذهول
أتهادى كشاربٍ أوْهنَتْ ساقَه الشَّمول !
جاحمٌ في جوانحي يتلظى بلا فتيل
كلما قلتُ : ذاب قلبي وغالتْه منه غول
رجّ صدري خفوقُه فتوقعْتُ أن يميل !!
فحنانيك لا تَلُم ! أو فلُمْ أيها العذول
ليت شعري هل لي إلى ما تمنّيتُه وصول ؟
فأماني أوشكتْ أن تموت من الذُّبول
أبحَقلي وحدي أنا الجد ب والخصب في الحقول ؟!
أسرع السير يا دليل أسرع السير يا دليل !

النجاب : يا أخا الحضر هل ترى رجلاً سيره ثقيل ؟
لست أحتاج أن تقول : أسرع السير يا دليل
لي من النفس سائقٌ ينهب الحزْنَ والسهول
أختشي أن يفوتني « نصر » نجّابُ (باعقيل)

(يصمت قليلا ثم يقول)

أين نصرٌ مني ؟ وأين من المضمر الهزيل ؟
أنا سَيْري منظم لا بطيء ولا عَجول
وهو يشتدُّ في الذّميـ ـل فيعتاقه الذميل

أنـا غـول القفـار وابـ ـــنُ الديـاميم والمجـول
لا أبـالي إذا مشـيْتُ أذى الشـمس والوحـول

همام : مـا لتجارنـا عبـاديد شـتى يتبـارَوْن بغضـة وحقـودا
كـثروا عـدة وقلّـوا غَنـاءً وأضـاعوا بالافـتراق الجهـودا
وغـدَوْا كـلٌّ واحـد بـبريد مـا لهم لا يوحـدون الـبريدا ؟
فيطيقـوا إرسـاله كـل أسبو ع ويجروا بـه نظامًـا سـديدا
إن في طوفهـم لـو اتفقـوا أن ينشئوا السفْن في البحار عديـدا
وبها يستغنون عن سُفن لأجـ ـنب يصليهم العذاب الشـديدا
ولقد كان للحضارم في البحـ ـر سفين أيام كـانوا أسـودا
جاريات من الخليـج لبحـر الـ ـهند حتى (أندونيسيا) لتعودا
داؤنـا أننـا نخيـب جماعـات وقـد نـدرك النجـاح فـرودا
أسرع السـير يـا دليـل ! أسرع السير يا دليـل !
واصـل السـير لا مبيـت ـ إذا شئت ـ أو مقيـل

النجاب (**متهكمًا**) :

أسـرع السـير يـا دليـل أسـرع السـير يا دليل
هـل ترانـي طيـارةً هـل تراني أُوتومبيل ؟؟

(يشير بيده إلى طريق السيارات التي بدئ بإصلاحها بحضرموت بين الساحل والداخل حيث يرى العمال يشتغلون بتعبيدها)

دونـك انظـر طريقـه ! فتُنهَـى عمـا قليـل

همام : ليتـه قـد مشـى فـأو صلني الليلـة (السحـيل)[1]

---

(١) الجانب الغربي من سيوون .

النجاب : لا رعـــى الله عهـــده إنـــه عهـــد عزرئيـــل
لا تقـدره يـــا إلـــهى وعسّـــر لـــه السبيل !
وإذا تمّ فابْلَـــــــــهُ بـــأذى البـــدو والقبيـــل !
وإذا مـــا مشـــى فـــلا فـــارق الوحـــل والسيول !
همام : قـــل لي لأيـــة علـــة أبغضت خلْقًا مـــن حديـد ؟
مـــاذا جنـاه عليـك حتـــ ـــى خلتـه الخصـم العنيـد ؟
النجاب : هـو قـاطع رزقـي القليـــ ـــل غـدًا وأرزاق العديـد
مـن كـل جمّـال وحمّـــ ـــار ونمّـاش بالـبريد
أتريدنـــي كـــالخضر إذ خـــالوه مفتـــاح السعود ؟
وبشـير آمـــال النهـــو ض وفجـر أيـام الصعـود
تَعِسـوا وخـاب رجـاؤهم وتعـثرت بهـم الجـدود !!
همام : (لنفسه)
فهِـمَ الفتـى البـدويُّ مـا لم يفهـم النِّـسْ الرشـيد
(ثم للنجاب)
حُيِّيـتَ مـن فطِـن فـدا وُك كـل ذي ذهـن بليـد
مـا قلتَـه كـاف لِيُمْـــ ـــقَت مـا يضر ولا يُفيد
ووراء ذاك سـوام أبـرصَ تنفـث السـم المبيـد
سُـلَّ الممـالك والشعو ب وهيضـة العصـر الجديـد
مـن كـل لـص قـاتل للمـال والخلـق الحميـد
لكـن ظلـم النـاس بعـــ ـــضهم لبعضهـم عتيـد !
ليعيـش فـرد واحـد لا بـأس مـن شـعب يبيـد!!
ولسـوف يجنون النـدا مـة منـه والأسف الشديد !

المشهد الثاني

« منبسط من الأرض فسيح يرى في آخره من جانب الوادي مدينة « سيوون » على بعد بحيث لا يتبين الناظر إليها إلا بياض منائرها وأبنيتها العالية محفوفة بهالة عظيمة من خضرة النخيل المحيطة بها من نواحيها » .

همام : أهذه سيوون أم　　جنة عدنٍ أزلفت للمتّقين
للّه ما أجملها　　مَنظرها الزاهي يسر الناظرين
تحسبها من بُعْدٍ　　حديقةً خضراءَ تسقى من معين
قد نثرت في تُربها　　جنابذُ اللؤلؤ والدرُّ الثمين !
تفوح في أرجائها　　روائح الورد وَعرف الياسمين
يحنو عليها جبَلٌ　　كما تضمُّ طفلها الأمُّ الحنون !
تضرب في أجوائها　　منائرٌ تخفى مرارًا وتبين
كأنها أعمدةٌ　　قامت عليهن السماوات المتون
تجعلها الرِّياح في　　تَلعابها أهدافها إذ ينبرين
أو كقرون حامل الـ　　أرض على قرنيهِ فيما يزعمون
أثقله آثامها　　فمرَقتْ من جوفها تلك القرون
قِبابها زاهيةٌ　　لو لم يكن حرمها أسمح دين

هدّم بعضها (بنو الـ ـتوحيد) فيما قد خلا من السنين
فهي ترى كأنها بيض نعام أجفلت من صائدين
ريعت فداست بعضه فهو على الأرض فليقٌ وطحين

* * *

لئن يكن منظرها وحسنها الزاهي متاعَ المبصرين
فإن في مَخْبرها خير متاع لقلوب النازلين
تفرّدَت حِسانها بالظرف واللين إلى خُلق متين
ورقةٍ كأنّها نسيب (عباس) أرقته اللحون
كأنّما أنت إذا جُزتَ بها تخطر ما بين الغصون
إياك من لحاظها إياك أن تصرع من سحر الجفون

يتنهد

كأن (حسنًا) أفرغت على رباها من جمالها المُبين
نضارَة كخَدِّها تَعُبُّ حتى ترتوى فيها العيون
ورقّة في جوِّها كما تندى خَجلاً منها الجبين
في مائها حلاوةٌ من ريق حسن ما خمور الأندرين؟
وفي محيّا شمسها ملاحةٌ من ذلك الوجه الحسين
وفي قدود نخلها من قد حُسْنٍ هيفٌ به تزين
صباحها الفضة قد سالت على زمرُّدٍ من الغصون
وذهبٌ أصيلها يبتعث الأنس ويهتاج الشجون
من نحرها وثغرها ووجنتيها سرقا تلك الفتون
وليلها مُعَنْبر كفرعها في عَرْفه وفي الدُّجون

مدينـــــة شـــــبيهها   في حضرموت وسواها لا يكـون

(يتـــأوه)

لـــولا توانــــى أهلهـــا   لقلــت هــذه جـزاء العــاملين

ليـس لديهـم عمـــــل   إلا قضاء الوقت في لهـوٍ مشين

يشـــقون في غربتهـــم   بالجمع للمال وهـم مقتصـدون

حتـى إذا مـــا وصلـــوا   إلى بلادهـم إذا هـــم يسـرفون

كـــــأنهم قيـــــاصرٌ   يُبَـــدِّدون المــال لا يكـــترثون

ولا يفكّـــــــرون في   خدمتها بـــالنزر ممـــا يجمعـون

ولا يزالـــــــون في   غربتهـم صناعـة أو يخْلِقــون

لينفعـــوا أوطـــانهم   بهـا إذا عـادوا إليهـــا راجعـين

* * *

المشهـد الثالـث

(همـام في مكتبـه وعنـده صديقـه محمـد يـزوره زيـارة خصوصية بمناسبة قرب زواج همام)

همام : محمـــدُ

محمد : لبيـــك !

همام : مـــاذا ورا ءك مـــن خـــبرٍ ؟

محمد : ليس عنـدي خـبرْ

سوى أن قلبيَ مستبشر بنيل المنى وبلوغ الوطرْ
وأنك سوف ترى من تُحِب قريبًا وينزاح عنك الكدر

همام : أخي أنا في مِرْية بعد في لقاء حبيب فؤادي الأغر
فقد درجت في انتظاري السنو ن وما بُلَّ من ظمأي المستعر
إذا وعدوني جُمادَى اللقا ء تلاشت جُماداهُم في صفر

محمد : همامُ زمان المطال انقضى وهذا أوانُ الوصال ابتدر
أتغري بقلبك بَرْح الشكو ك والوصلُ بعد غدٍ منتظر ؟
وهذي بيوتك قد زُيّنت وأهلوك في نَشَوات الحَبَر
وأكدتُ أمس على المطربيـ ـن - على رغم أنف الذي قد خطر -
بأن يحضُرونا مساء الزفاف وصبحَ الدخول وليل السمر

همام : سلمت وهل رضي المطربو ن بذاك ؟
محمد : رضوا بعد طول النظر
خشُوا المانعين لهم أولا فداويت بالمال ذاك الحذر
ومَنْعُهم الناس أن يطربوا كما يطربون . دليل البطر
وليس بذاك لهم حجة سوى كبريائهمُ والأشر
همام : محمد ! لا أبتغي المطربين على أنني لك ممن شكر
لئلا يقال : لحظٌ هوا ه دعا للمساواة بين البشر
وإن سروريَ بالوصل لا بمن نَقَر الدّف أو من زمر
ولكن سيزدان بالمطربين زواجك ! هلاّ به تفتكر !!

صديقي إلى مَ تحامَ الغرام ؟ إلى مَ فؤادك مثل الحجر ؟
إلى مَ أراك وحيد الظلام وحيد المقيل ، وحيد البُكر ؟

محمد : همام رويدك !

« يبتدره البكاء فيعوقه عن إتمام كلمته » .

همام : (لنفسه) ويلاه ما لـ ـصديقيَ أدمعه تبتدر ..؟
أشق عليه كلامي ؟
(ثم لمحمد) محمـ ـد زلّت لساني ألا تغتفر ؟

محمد : (لنفسه)
إلـهي أبحتُ بسر الهوى وكنت على كتمه أصطبر ؟

ثم لهمام : صديقي أتحسب أنك سؤ تَ فؤادي ودأبك لي أن تسر
أمثلك يجرحني قوله ؟ فتلك لعمري إحدى الكبر
ويا ابن الأكارم ماذا جنيتَ حتى تَنصلَ أو تعتذر ؟
همام كتمتك جُهدي الهوى ولكن أبى الحب أن يستتر
همام أتعهد مني البكاء همام أتعرف فيَّ الخور ؟!
وكنت ألومك فيما مضى فيا ليتني كنت فيمن عذر !
وأعجب كيف تصول الظبا ءُ على الأسد؟ حتى رماني القدر!

همام : محمد ! لا تحبسنَّ الدموع ودعها على رسلها تنهمر !
فإن القلوب إذا أجدبتْ بحزنٍ فإن الدموعَ المطرْ !
وقل لصديقك أيُّ الظبا ء رماك وصرّح له بالخبر
فما في الصبابة عار على فتًى طاهر الذيل عفِّ الأزُر

محمد : (يكفكف من دموعه)

همـــام أتذكـــر « علويـــة » نصيرتنـا في الجهـاد العسِـرْ ؟
سليلة طـه ، فتـاة الحجـى ، مِثـالَ الكمـال مثـال الطهُـر
أتتنـى يومًـا علـى حالـةٍ تُذيب القلوب وتجري العَبَر
محمـد ! هـذا أوانُ الغيـاث وهـذا أوانُ تـلافي الخطَـر
مضـتْ ليلتـان ومـا عندنـا مـن القـوت شيءٌ بـه نعتصـر
وأخـتي غارقـةٌ في السَّقـا م وإنـي لأحسـبها تُحتضـر
وزوجـةُ عمـيَ في طَلْقهـا تعـاني المتـاعب والوقـت قُـر
وعمـيَ سـافر منـذ شـهو رِ فـلا عـاش مضطـرُّه للسـفر
وكـان لدينـا بحانوتـهِ يعيـشُ ويتجـر فيمـن تجَـر
فشنّع إخوانـه بـل عِـداه علـيه ، وقـالوا : لئيـم قـذِر
يُدنّـس أحسـابنا إذ يـرو ح إلى السوق كالناس أو يبتكـر!
فما أنهـتِ القـولَ حتىٰ غـدو تُ ويوشِـك قلـبيَ أن ينفطـر
وأذهلها الحزنُ عـن موقفـي فلـم تتحفـظْ ولم تسـتتر
فأبصرتهـا مـن خـلال الحجـا ب كما لاح بين السحاب القمر!
رأيت الجمال ، رأيـت الجـلال رأيت الهوى والشباب النضـر!
وراحـت تنـثُّ علـيَّ الثنـآ ءَ بما قـد قضيتُ لهـا مـن وطـر
وقـد تركتـني سـليبَ الفـؤا د قليل القـرار ، كثـير الفِكَـر
أردّد أقوالهـا في الضمـير تـرنُّ بـأذني كصـوت الوتَـر !
فهـأنذا بعدهـا يـا همـامُ قصـير الرقـاد طويـل السـهر
رحمتُ فأسعفتُ ثـم انثنيـتُ وفي كبـدي مثـلُ وخز الإبـر !
فلطفـك يا رب فيما قضيت فلم يُنْج مما قضـيتَ الحـذر !

همام : يا صديقي عندي إليك عتـاب   واطـراح العتـاب مـني قبيـح
أكـذا تكتـم الحـوادثَ عـنيْ   وبمـا دونهـا إليـك أبـوح ؟!

محمد : يا خليلي إن كان ساءك فعلي   فاعفُ عني فأنت عـني صفـوح
إن عِبءِ الهوى علـيّ ثقيـلٌ   وببثّيـكَ سـرَّه أسـتريح
غير أني كتمتـهُ عنـك جهـدي   حـذرًا أن ينـالك التـبريح
ولو أنـي نظـرتُ فيـك لحظـي   يـا خليلـي للـذّ لي التصريـح

همام : خف عن ظهرك العناء لظهري   فاسـلُ عنـه فإنـه مطـروح
إن ما أنت آمـلٌ سوف أغـدو   سـاعيًا في تحقيقـه وأروح
فـدع الهـم إنهـا سوف ترضـا   ك وحسـب المليح زوج مليـح

محمد : (لنفسه)
هـو يـدري بـأن مـا أتوخـا   ه مُحال من الأمـور طروح(١)
فهو يبغي بذاك تخفيف حزنـي   إنـني بالأسـى إذًا لذبيـح

* * *

(١) بعيـد .

المشهــد الرابــع

(ساحة كبيرة أمـام بيت العروس « حسـن » فيمـا بعـد منتصف الليل . يرى هناك جمهور من النساء يصطففـن لزفهـا إلى بيت « همام » تتوسطهن « حسن » عليها غطاء لا تـرى منه . تحيط بهن الوصائف بأيديهن الشموع تتقدمهن القينات المغنيات بأيديهن الدفوف وهن يتغنين بينمـا الجمهـور يتحـرك ويتجه ـ في سير بطيء ـ إلى جهة بيت همام).

القينات : نحـن نـزُف الشمسـا والشـمسُ في ضُحاهـا
فمـا أجـلَّ عُرسـا يغمـره سـناها !

الجمهور : نحـن نـزُف الشمسـا والشـمسُ في ضُحاهـا
فمـا أجـلَّ عُرسـا يغمـره سـناها

القينات : نحـن نـزف الحيـا نحـن نـزف المُنى
نحـن نـزف الضّيـا نحـن نـزف السـنا

الجمهور : نحـن نـزف الشمسـا ... ...
... ...

القينات : يـا عُصبـةَ الغوانـي هَلُـم للتطريـب !
اشـدون بالأغانـي واهتِفْـن بالنسـيب
واضمُـدْنَ بالأمـاني دوامِـيَ القُلـوب

الجمهور : نحن نـزف الشمسـا ... ...

... ...

القينات : حيّيـن بالسـلام هذا الشعاع المسكوب !

وافتأن بالأنغـام كـل حزيـن منكـوب

الجمهور : نحن نـزف الشمسـا ... ...

... ...

القينات : روائـح الجنـان تعبق مـن هـذي الـدُّور

كأنمـا المغـاني أمسَتْ مراقص الحـور!

نحـن نـزف الشمسـا ... ...

... ...

القينات : نحـن نـزف الملَـكْ في صـورة الإنسـانْ

يجلـو ظـلامَ الحلَـكْ ويقشـع الأحـزانْ

فهـل لديكـم فلَـكْ بنـوره يـزدان !؟

الجمهور : نحـن نـزف الشمسـا ... ...

... ...

القينات : يـا قمـر السـماء غُـضِ الجفـونَ أغـضِ

بـالذكر والأسمـاء عـوذتُ بـدر الأرضِ

الجمهور : نحن نـزف الشمسـا ... ...

... ...

(يقتربون من بيت همام)

القينات : سُـقْنَ إلى همـام جمـالَ هـذا النادي

واحـدونَ للضرغـام لبـاةَ هـذا الـوادي

الجمهور : نحن نزف الشمسا ... ...

... ...

في الطابق العلوي من دار همام حيث تستقبل نسوة الدار النسوة اللاتي زففن « حسنًا » . تنحاز نسوة الدار إلى جهة ، ونسوة الزفاف إلى جهة أخرى والقينات في الوسط يضربن بالدفوف .

القينات : اليُمْن والإقبال والسعد والسعادةْ
للمُعْرِسين فال والفضل والزيادةْ

شاعرة نسوة الزفاف : نحن نزف الحُسنا نحن نزف بلقَيس !

ثم سائرهن : نحن نزف لُبنى فهل لديكم من قيس ؟

شاعرة نسوة الدار مجيبة : همامنا كالمأمون إن زففتم بوران

ثم سائرهن وهكذا في باقي الأبيات إلى آخرها

وإن تكن بلقيسًا فإنه سليمان !!

نسوة الزفاف : النصر للعروسة !

نسوة الدار : بل هو للعروس !

نسوة الزفاف : للدرَّة النفيسةْ

نسوة الدار : للجوهر النفيس !

نسوة الزفاف : للحُرّةِ المصونة وربة الجمال
للدرَّة المكنونة واسطة اللآلي !

نسوة الدار : لمفْخَر المدينةْ لسيد الرجال

نسوة الزفاف : الناس يعرفونه بكرَم الخِلال

نسوة الزفاف : النور والشعاعُ ووَهج الشموسِ

والجوهـــر اللمَّـــاع وحبَـــب الكـــؤوس
جميعهـــا أشـــياع لهـــذه العـــروس

نسوة الدار : ألمجـــد والكمـــالُ وكـــرم الأخـــلاقِ
والقـــولُ والفعـــالُ وحسَـــبُ الأعـــراقِ
جميعهـــــــــن آلُ عروســـنا الغيـــداق !

نسوة الزفاف : نحـــن نـــزف الحســـنا نحـــن نـــزف بلقيـــسْ
نحـــن نـــزف لُبنـــى فهل لديكم من قيس ؟

نسوة الدار : همامنـــا كالمـــأمون إن زففتـــم بـــورانْ
وإن تكـــن بلقيسًـــا فإنـــه ســـليمان

القينات : كـلا العروسـين زيْـنْ للمجـــد والعـــلاءِ
فـلا تفـاضلن بيْـنْ ســـراجي الســـماءِ
أيـــن المجـــرةُ أيـــنْ كواكـــب الجـــوزاءِ
أصوغهـــنّ لذيـــنْ تـــاجَين بالســـواء

القينات ثم الجميع : يـــا رب باركهمـــا في ذا الـــزواج الســـعيد
واجعـــل زمانهمـــا كأنـــه يـــوم عيـــد
وانفحهمـــا بـــالوُلْد مثـــل دراري النجـــوم
في ظـــل عيـــش رَغـــدْ وفي صفـــاءٍ يـــدوم

(ستـــار)

الفصـــــل الخامـــس

المشهـــــد الأول

علويــة : (على فراش المرض . حسن تعودها في بيتها) .

علوية : عُدتِني حُسن؟ مرحبًا بـك يـا أخــ ـــتُ !

حسن : وقاكِ الإلــٰـه مـا تحذرينـا !

ما الذي تشتكين ؟ نفسـي فـداءٌ لـك مـن كـل علـة تشـتكينا !

علوية : أقصري حُسنُ أن تمنّيْ على ربـكِ ســـوءًا لعلـــه أن يكونـــا

بل سلى الله لي الشفاء عسى أن يقبـلَ الله منـكِ مـا تسـألينا

أو سـليه ليَ العـزاء فـإني لا أرى الـداء تـاركي أو أبينـا

حسنُ ! إني أُحِسّ في الصدر نـارًا تتلظّــى كــأنّ فيــه أتونــا !

أشرب الكأس بعد أخرى من المـا ء فــلا أرتــوي كمــا ترتوينـــا

أحسِب الماء يسـتحيل بجـوفي لهبًــا في الحشــى يئــن أنينـــا

أنـا لا أسـتطيع أن أدَع المـا ء ، ولا المـاء قـادر أن يُعينـا !

حسن : لا تخافي سوءًا فمثلُكِ في العفّـ ـــة والنبـل مـا نمَــى الوالدونـا

تبذليـن المعـروف جهـدك للنـا س ، وتولـين منهـم المسـكينا

وتراعــين للجـــوار حقوقًـــا وتواســين بائسًــا وحزينــا

وتوالين مـن يحـامي عـن الحـق وإن غــاظ فعلــك الأهلينــا

فإله الـورى سـيرعاكِ ، لن يتـ ـــرك يومًا عبـاده المحسـنينا

علوية : قدْكِ ؛ هذا جميلُ ظنك في أحـ ـستكِ ، لا خيّب الإلـه الظنونـا
إن ربـي بخَلقـه للطيـفٌ يتـولى عبـاده الصالحينـا
غـير أن العبـاد بعضهـم يظـ ـلم بعضًـا ، عن ربهم ساهونا
أنظريني هل بي سوى ظلم أهلي لي وأبنـاء عمـي الأقربينـا ؟
وتصدّيهـم لمـا ليـس يعنيـ ـهم ، وعن واجباتهم يعرضونا
مات زوجـي ووالـدي فلم يُبق لي الدهـر عـائلاً أو خدينـا
غيرَ عمي ـ وأنت تدرينَ ما عمـ ـي ؟ فقـيرٌ ينـاهز الستينا
قد وهَى جسمُه ، وخارت قـواه وابتـلاه السـقام حينًـا فحينـا
ألجـأوه إلى السُّـفار ليجلـو عنهمُ العـارَ ، هكـذا يزعمونـا
زعمـوا أن بيعـه وشـراه يكسوان الأشراف في القطر هونا
ثم إنـي مكثتُ في عصمـة الأيـ ـم وفي رِقْبـة الـزواج سـنينا
لم يجئني منهـم ليخطُـب ودّي أحـد غـير فتيـة عاجزينـا
وأبـي عـالم وجـديَ حِـبرٌ وأصـولي أئمـة متقونـا
ولعـل المـرآة تصـدق عـني إن وجهي ما كان في الحسن دو
حسن : بـل تعـالى الـذي بـراكِ ، وحـلاّ كِ جمـالاً يحـيِّر الناظرينـا !
سـطعت أنـوار النبـوّة فيـه فاستحالت مباهجًـا وفتونـا !
علوية : وأتـاني محمـد وهـو مـن بيـتٍ حسيب أصـلاً كمـا تعلمينـا
رجـل يمـلأُ الصـدور كمـالاً وخـلالاً كمـا يسـر العيونـا !
كـان لي كلمـا تضـايق حـالي سـاعدًا قبـل خطبـتي ومعينـا
وهو كفئى وكـفء أفضـل مـني حسـبًا أو فضيلـة أو دينـا
فـأتوْا يزجرونـني عنـه حينـا ويسـومونني التهـدُّدَ حينـا
مـا رأوْا لي من قبـل ذلك دارًا فأتـوْا بعـد ذاك يستبقونـا

ما ثناهم عن خطبتي غـير فقـري   ليـس عنـدي ملمـال مـا ينشـدونا
ذهبــوا لابنـــة الغـــني وإن لم   يـك مـن بيتهـم وإن كـان دونـا
وانـبروْا يمنعوننـا مـن سـواهم   فلمـن ويْحَنـا إذًا يتركونـــا ؟
فدعيني يا حسن أبكي مصـابي !   بـمَ أبكـي وقـد أرقـتُ الشـئونا ؟
رب ! كن لي وللتعيسات مثلي   ليـس بـين الأنـام مـن ينصفونـا

(لا تتمالك حسن عن البكاء فتنهمر الدموع من عينيها)

علوية : مِـمّ تبكـين حَسنُ ؟

حسن : مـن أجـل بلـوا   كِ فـؤادي أحسـبه مطعونـا !
تب ذا العيش! لا هوى ليَ في العيـ   ـش إذا لم تحظَيْ بمن تعشـقينا

علوية : أقصري حسن! بـل يظـل همـام   بـك في غبطـة بهـا تسـعدينا

حسن : نحـن نحـيي وأنتمـا ؟

علوية : فوقنـا اللّـــ   ـــه سيأسـو جراحنـا ويلينـا
فوقنـا اللّـــه ..

حسن : فوقنـا أيضًـا اللـ   ـــه سيأسـو جراحنـا ويلينـا

* * *

المشهـــــد الثانـــي

(حسن في غرفتها . همام داخل إليها) .

حسن : حبيبـــي ؟
همام : أجـــل مُنيـــتي !
حسن : أمـــا لـــكَ في قبلـــة ؟
تعـــال إلى جـــانبي أمـــا لـــكَ في ضمـــةٍ !
همام : (يهوى إليها)
بلـــى يـــا حيـــاةَ الفـــؤا د ، ولبيـــكِ يـــا مهجـــتي !
هبيـــني لمـــاكِ هبيـــنيَ أطفـــئ بـــه غلـــتي !
هلمـــي نطُـــف بالحيـــا ة كـــالنحل بـــالزهرة !
فمـــا في المنـــى مثـــل قبـــ ـــلة الـــزوج للزوجـــة !
نتـــال بهـــا نعمـــة وحســـبكِ مـــن نعمـــةِ
ونجـــني بهـــا لـــذّة ونـــاهيكِ مـــن لـــذّةِ
وهـــل كنعيـــم يجـــيء مـــن الله بالرحمـــة ؟!
حسن : حبيـبي ! أمـــا لـــك عـــن هـــوى الشعْر مـــن توبـــة ؟!
أبـــي أنـــا وحـــدي نسيـــ ـــبُكَ أم بـــي وبالنســـوة ؟
أرى نَـــبَرات العُمـــو م تعصيـــف بـــالوحدة
همام حبيبـــة قلـــبي ! أقِلّـــي علـــيَّ مـــن الغـــيرةِ
هلـــمَّ ادخلـــي للفـــؤاد وافضِـــي إلى الحبّـــة !
فهـــل تجديـــنَ بهـــا لغـــيركِ مـــن عُلْقـــة ؟

حسن : كــــذا فلتكــــن ليَ في حيــــاتي وفي موتــــتي
فمــا في حيــاتي خشــيتُ بــل بعدهــا خشــيتي !
حبيــبي اغتنــم ســاعة مــن الصفــو والبهجــة !
فقــد لا تطــول حيــا تــي ، وتقصــر بــي مدّتــي !

همام : دعــيْ عنــكِ هــذا ، وقــو لي ســوى هــذه الجُملــةِ
بربــكِ لا تذكــري لنــا شــبح الفُرقــة !
فلــم نســترح بعــد مــن متاعبهــا الجمّــة
ولم نقْــضِ بعــض اللُّبــا نــةِ مــن هــذه اللُّقيَــةِ
حبيــبيَ لا تَلْحِينــي واشــفِق علــى عَــبرتي !

حسن : (تبكي) أحسُّ كأن الحِما مَ منّــي علــى خُطــوة !
ويهمــس لي خــاطري بــأني علــى رحلــة !

همام : دعــي عنــكِ هــذي الوســا وسَ ، جســمُكِ في صحــة
ووجهــكِ هــذا الجميــل ينبُــع بــالنّضرة
وســوف تجوزيــن عُمــرَ جــدّكِ والجــدّة

حسن : سَــلِمْتَ حبيــبيَ لي !

همام : ولي أنــتِ يــا بُنْيــتي !

حسن : لقــد زال عنّــي الــذي شــعرت مــن الخيفــة
وذابــتْ همومــيَ مِنْــك في كوثــر الجنّــة

همام : فديتُــك ! حُسْــنٌ ســتبقى ببيــتيَ كالشــمعة !
وتــأذنُ لي بــالرّحيل لأمِّ القــرى مكــةِ
وتدعــو لي الله أن يُقصّــرَ مــن غيبــتي
كمــا تترجّــاه أن يحقــقَ لي طِلبــتي

حسن : أحجًّا تُريد ؟

همام : أجل وشيئًا من القُربة

لأسعى هناك لتزويج خلّيَ من خلّتي

محمدُ جِلْفُ الفراش ينوءُ من العلّة

أضرَّ به اليأس في هواه لِعَلْويَّة

وأخشى عليه المنيّة من هذه الصدمة

وأخبرني أنه يمتُّ إلى العِترةِ

وأنَّ بأم القُرى معالمَ ذي النِسبة

فقد جاء منها أبوهُ إلى هذه البلدة

وفتشَ في النسوة الشرائف عن زوجة

فقالوا له : لانتماثك في بيتنا أثْبِتِ

فثارتْ به غضبةٌ وبورك في الغضبة !

ومالت به عزّةٌ وبورك في العزة !

وقال إذا لم يكُنْ لديّ سوى نِسْبَتي

فلا بارك الله في خلالي ولا همّتي !!

وزَوجه ذو الجلال من أمه البرةِ

فعاش سعيد الفؤاد بها هانئَ العُشرة

كذا عن أبي أمّه حكى مُجمل القصة

حسن : همام ! بيُمن الإله وفي الحفظ والعصمة !

يرافقك الله في خُطَى هذه السَّفرة

وإني لمسرورةٌ برعيك للصُّحبة

ومَنْ كمحمدَ في ولائك والذمةِ !

بحبّكَ عطْفي عليه وحُبّي لِعلْوية

ألم يسعيا قبلُ في دخولك في عصمتي ؟

ألم يبذلا الجُهد في هنائكَ أو غبطتي

وقد عدتُها أمسِ وهي تَقَعْقَعُ بالزفرة !

بِنَفْسٍ تريد الحياة على جسدٍ ميّتِ !

تنوح على نفسها وتزخر بالحسرة !!

وقد أنفدَت دمعها فتبكي بلا دُمْعة !

رثيت لها يا همام ! وخفْتُ على خلتي

لأني أراها تُشير إلى الموت من خُفْية !

فمن أجلها يا هُمام شُكوكيَ في صحتي

وإحساسُ قلبي بأني قريب من النُّقْلة

ولكن لعلّ الإله يكشف من محنتي

سأمضي لتبشيرها وتفريجها بالّتي

لعلّ بها أن تكفَّ مِن عَلَن اللوعةِ !

* * *

المشهـــــد الثالـــث

(محمـد على فـراش المـرض . ليـس عنـده سـوى أمـه العجوز تعلله من حين إلى حين وتدخل عليه الخـادم بمكتوب فيفضه بيد مرتعشة فإذا هو من حبيبته علوية وإذا فيه) :

يا حبيبي ! مـني عليك سلامٌ وسلام الرحمن فوق سـلامي
يـا حبيـبي إن المنيَّـة جـامٌ كلنـا شـاربٌ بـذاك الجـام
والسعيد الذي يموت سليمَ الـ ـقلبِ عَفَّ الرداء من كل ذام
فمتى جـاءكَ النَّعِـيُّ بموتـي فـترحم علـى شهيد الغـرام !
أنا في النزع يـا حبيبي فصبرًا لا تَضعضَـع لحـادث الأيـام
ووداعًا! إلى اللقاء! على الكو ثرا في الخلد! في جوار السلام!
إن تحلْ بيننا الحيـاةُ ففي الخلْـ ـدِ سنحظى بلقيـةٍ ووئـام
سيرى الحـائلونَ دون الحبيبَـ ـين جزآء الإلـه ذي الانتقـام

علويَّة

محمد : **(يتقلب علـى الفراش ذات اليمـين وذات اليسـار بجهـد ومشقة)**

هي في النزع! آهِ ما أعظم الخطـ ـب وأقسى على فؤادي الدامـي!
هي في النزع! ربِّ هَون عليهـا! حسـبها مـا رأتْ مـن الآلام!
منعوهـا الحيـاة ظلمًـا فـأودَوْا بحيـاةٍ بريئـةِ الأحـلام
رب! لاخير في الحيـاة! فألحِقـ ـني بهـا واكفِني عناء السَّقام
هي روح الوجود مني وما يُصْـ ـنعُ بعد الأرواح بالأجسـام ؟

أكـذا نـترك الوجـود ولم نحـــ ـــظَ بوصل، ولم نفُـز بمـرام ؟!
أكـذا يُرفـــع البســاط ومــا دا رَتْ على العاشقَين كـأس مـدام ؟

(يحاول أن ينحرف إلى جنبه فلا يستطيع من الضعف والإعياء)

رب مـاذا أحِسُّ ؟ هـذا فتـــور عجَب في مفـاصلي وعظـامي !
خار جسمي فما أطيق حراكًـا! وتنـــاهت بُـــرودة الأقـــدام
مـا لرأسي أضحى عليَّ ثقيـلاً وجفونـي يُغْريـــنَني بالمنـــام !
ويدي لا تطيق حمل سِـواكي ! ولسـاني تعـــثرت بـــالكلام !
وفـــؤادي دقاتــــه تتـــوالى علَّ هـذا نذيرُ قـــرب الحِمـــام

(يتذكر صديقه همامًا)

أيـن ولّـى همـامُ ؟ يـا ليتـه عنــ ـــدي أراه في مُنتهـى أيـامي !!
نضـر الله وجهـه مــن صديـق مخلص لي على مـدى الأعــوام
كم هداني من الضلال، وكـم عبّـ ـــد سُبْل الحيـــاة مـــن قدّامـــي
أمّ صوبَ الحجاز في لفحة الصيـ ـــف حريصًا على قضاء مرامي
ليـس يـدري أنـي بمدْرَجَـة المـو تِ وأني علـى شـــفير الرِّجـــام
ومضـى غـــيرَ عـــالم أن حُســـنًا مُنِيَـــت بعـــده بحُمَّـــى لِـــزَام
ليت شعري إن جاء نعيي همامًا ثـم مـاذا تكـون حـال همـــام ؟
أو أصيبت - لا قدر الله - حسـنٌ فهـي أدهـى فجـائع الأيـامِ !
وهـــو في غُربـــةٍ وليـــس لديـــه من يهـدِّي فـؤاده المـترامي !
سُـنَّ يـا رب بالشّـفاء عليهـــا لا تذَرْهـــا رَمِيَّـــةً للســــهام

* * *

إن مِن خلفها فتًى ينصـــر الحق جهـــارًا وعن هــــداك يحامــــي

شعَّ من هديه على القُطْر نور — فــإذا مــات عــاد للإظــلام
واستعاد الجمودُ سلطانه الضخـ — ـمَ ، وعـزَّت سواعد الأوهـام
هي سُلوانه الوحيد من الدنـ — ـيا إذا ضاق بـالخطوب العظـام
عَوْنُـه إن جنـى الجهـاد عليـه — وأراه تنكُّـــــر الأقـــــوام

(يمسك بيديه على أضلاعه)

يا فؤادي دنـا الخـلاص! فصبرًا — سوف تسلو هذي الجراح الدوامي!
وستلقى الحبيب في ربـوة الخلـ — ـد يحييـك ثغـره بابتسـام !
وسـأغدو إلى الإلـه فيعفـو — عـن ذنوبـي وسـالف الآثـام
وسأشـكو إليـه مـن رَزَأونـي — في ربيع الحياة — في أحلامي
وأراقوا دمي البريء ، وضحَّوْا — بحبيبي في مذبـح الأوهـام !
تخـذوا الديـن جُنـةً يتوقَّـوْ — ن بها في الورى سهام المـلام
فسـيدرون أنـني عَلَـويّ — تنتهـي نسـبتي لخـير الأنـام
غير أن الحِمـام أهـون عنـدي — من فخـاري بـالجد والأعمـام
وادِّعائي بـه على النـاس فضلاً — يتقاضاهُمُ رسـوم احـترامي !
عَزَّ دين الإسلام ! قد جعل النـا — س سواء في شـرعه المتسـامي
لم يدع ميزة لزيد على عمـ — ـرو ، ولا حارث على هَمَّام

(يلتفت إلى أمه وهي بجانب فراشه واهية الأركان ترنو إليه في ذهول وتتحادر دموعها ولا تستطيع الكلام من الأسى)

إصبري يـا أمـاه ! فـا لله أبقـى — لـك مـني ومـن جميـع الأنـام !

(يصوب نظره إلى السماء)

رب رفقًا بقلبهـا المتشـظي ! وحنـانيك بـالدموع الهوامـي !
كن لها إن أتت ضحىً بطعامي فتنـادي وليـس رب الطعـام !
كن لها إن أتت سـريرى لإيقـا ظي ؛ فـترتد عنـه والقلـب دام !

(تنحـدر مـن عينيـه دمعتـان كبيرتـان ويدخـل في دور الاحتضار الأخير)

(بصوت متقطع)

رب! من ذا أرى ؟ ملائكة المو ت ؟ ألا مرحبًا بوفـد السـلام !
رب! إني آمنت أنك أنـت اللّـ ـه رب الجـلال والإكـرام
ونبيـي محمـد سـيد السـا دات طـه إمـام كـل إمـام
كلُّ زادي إليك خـالصُ توحيـ ـدي فَهَب لي يا رب حسـن الختام

* * *

المشهد الرابع

همام في مكة بمنزل استأجره قريب من المسجد الحرام . يأتيه موزع البريد ويسلم إليه برقية من عدن . يوقعها همام فيخرج الموزع .

همام : **(بيده البرقية لم يفتحها بعد)**

برقية ! ما شأنها قل لي ؟ هل مات لي أحد من الأهل ؟
إني أحس كأن حادثة جللا ستفجعني على مَهْل
يا برق ماذا أنت تحمل لي إني أراك تنوء بالثقل !
قلبي يحدثني ؛ ولم أره يوما يحدثني على جهل

(يفتح البرقية ويجيل نظره فيها بسرعة)

ماذا ؟ أماتوا ؟ أماتت حُسنُ ؟ واكبدي
ربّاه ..! خذ بيدي ! ربّاه ..! خذ بيدي !

(يسقط من مقعده على الأرض مغشيًا عليه . يسمع جاران له من الحجاج هدة سقوطه فيفتحان عليه الباب حيث يجدانه

ملقى فاقد الشعور . يحركه أحدهما ويأتي الآخر بماء ويرشه على وجهه . يفتح عينيه ثم يتحامل على نفسه حتى يجلس) :

يا حسرتي اليوم فارقت الحبيب إلى

غير اللقاء ! وواحزْني وواكمدي ؟

أشكو إليك إلهي ما مُنيت به

من الخطوب ولا أشكو إلى أحد !

كأنما أنا لم أخلَقْ لأشهد مِنْ

هذي الحياة سوى البأساء والنكد !

اليوم أسكب دمعي غير منقطع

إن غاض دمعي يمدُّه دم الكبد !

يا رب لم يبقَ لي في العيش من أرب

فلَقِّني راحتي في هذه البلد !

(ينظر مرة ثانية في البرقية)

أماتت إذًا حسنٌ؟ ومات محمد وماتت على أثر السقام فتاته !

ثلاثة أحبابي بيوم فقدتهم! فيا لفؤادٍ أُثْخِنت طعناته ؟

يذوب من الشكوى ويدمى من الأسى وليس إلى غير الإله شكاته

محمدُ يا خير الأخلاء! والذي صفتْ مثلما تصفو المدام صِفاته

حنانيك لا تبعَد! لمن أنت تاركي؟ لقاسي زمانٍ أُولعت بي عُداته ؟

ويا ساعِدَ الإصلاح والباسل الذي به ارتفعت في قطرنا صرخاته

أتمضي ولم نهتِك من الجهل سِتره   وما انفضَّ عن صرح الجمود حُماته ؟
أتمضي وفي جنبيك قلبٌ معطَّش   من الحُب لم تُبْلَلْ بوصلٍ لهاته ؟
أحين ظفرنا بانتسابك واضحًا   تُغِصُّ به حلقَ الحسود شجاته ؟
أحين ظفرنا بانتسابك واضحًا   تكُفُّ به طرفَ الحسود قذاته ؟
وكنت على قاب من الوصل هانئًا   تطلَّق عن غُرِّ المنى بسماته ؟
وأنتِ فتاةَ النُبل والطُهر والحجى   تغشتك من رَوْح الرضى نفحاته
لضاعفَ من حزني فراقك أنّه   فراقٌ به لاقتْ حبيبي وفاته
أراكِ وفاءً ما رأى الناس مثله   فدًى لحبيب بالوفاء مماته
ولم أنسَهُ لما رآكِ مريضة   فجاشت به في مشهدي حسراته؟

(تنهمر دموعه)

يقول : كأني يا هُمام سأنتهي   كأن حِمامي قد أقيمت صلاته!
فقلت له: دع عنكَ وهمكَ، إنَّ ذا   محيَّاك نَضْر لم تَحُلْ قَسَمَاته !
فأصغى لقولي واطمأن فؤاده   وقرّت ـ على سُخر الردى ـ رجفاته
وما كنت أدري أنني أنا واهمٌ   وأن حبيبي صادقٌ كلماته !

(يريد أحد الجارين أن يقيم هماما من الأرض فيجذبه صاحبه)

دَعْــه يُرســل دمعــه ... من بكى الشجـو استراح
وإذا مــا كبَتَ الـــ ... ـحُزْنَ في جنبيه طـاحْ

الجار : ويحه مـن مُوجَـع ... دَمِيَتْ منه الجراح !

صاحبه : مـا عليه الآن بـأ ... س وقد صـاح ونـاح

همام : حبيبي ! مالي في رثائك مقول ... كأن فمي شُكّت برمحٍ لهاته !
رثاؤك في قلبي يهدّ أضالعي ... وتدفع في أحنائها ضرباته
ولا يستطيع الشعر وصفًا لهوله ... وتقصر عن تصويره خطواته
على أنه الشعر الذي الشعر دونه ... سرت في الورى مسرى الضحى بيّناته
وإن قريضًا أنت مصدر وحيه ... لتَسجد عُـزّاه لـه ومناته !
يميل بعطف الكون قدسيُّ لحنه ... وتعذُب في سمع الدُّنى نغماته
تَقطَّعُ أعناق البلاغة دونه ... وتُزهَى به بين الأنام رواته
تُغَصُّ به حساده وهو سائغ ... وأقتلُ ماء للحسود فراته
ولكنه الخطب الذي الخطب دونه ... تلقاه قلب لا تلين صَفَاته
ولو غيره أضحى به بعض ثقله ... لقامت عليه في المساء نعاته
فها هو ذا قلبي كسيرًا محطمًا ... تفيض دمًا ثَجَّاجَةً جنباته
لمن أطلب العلياء بعدك ؟ إنما ... حَدَتني إليها من سناك حُداته !
وأين سبيل المجد بعدك ؟ إنما ... بنور محياك انجلت ظلماته
فأنت الذي علّمتَ نفسي ركوبه ... ولولاك ما ذلّت لها صهواته !
ولَقنتها حُب الهدى وجهاده ... ولولاك ما اجتِيزَت لها عقباته
أتمضي وما جفّتْ رياحين عُرسنا ... وما برحت بسّامة زهراته ؟
أتمضي ولما يَشْفِ قلبي أوامه ... وما شقّقت أكمامها صبواته ؟
سلام على قَبْر الحبيب ورحمة ... وغيث رضى ما تنتهي قطراته

لئن كان أنسي في الحياة لقاؤه   فانسي وهمي بعده ذكرياتـه!!
كأني بـالثغر الجميـل على فمـي   تـرف بـه في نشـوةٍ قُبلاتـه !
كـأنّي بـالفرع الجميـل بمنكـبي   تداعبـني في عَرْفهـا خصُلاتـه !
كـأنيْ بيمنـاه تجـول بمفرقـي   فتلثمهـا في نشـوةٍ شـعراته !
لئـن حـالت الأيـام بيـني وبينـه   وقُـدِّر للشـمل الجميـع شـتاته
ففي جنة المأوى غدًا سوف نلتقي   بفضـل كريـم لا تُحَـد هباتـه
وإن عـزاء القلـب إيمانـه بـه   وقـد فارقتـه في الحيـاة حياتـه

(ينهض فجأة)

خذونـي خذونـي إلى المسـجدِ   خذونـي إلى الحجـر الأسـود !
خذونـي إلى زمـزم علهـا   تُـبرد مـن جـوفي المُوقَـد !
خذوني لأستارِ بيت الإلـ   ـه أشُـدَّ بهـا في ابتهـالٍ يـدي
دعونـيَ أذهـب إلى خـالقي   دعونـيَ أذهـب إلى سـيدي !
دعونـي أحـطْ علـى بابـه   ثِقـال الدمـوع وأسـتنفِد
فـإن أحـيَ علـى لُطفـه   وإن يـأتني المـوت أستشْـهَد

(يخـرج إلى المسـجد الحـرام يرافقـه جـاراه . يقصـد زمـزم فيكرع من مائها يتوضأ ويذهب إلى المطاف يطوف .. ثم يقـف تجاه الملتزم ويتعلق بستر البيت :

الحمـد لله اطمـأنَّ قلـبي !   هـأنذا بـين يَمِينَـيْ ربـي ؟
إن عظُمـت مصيبـتي وخطـبي   فـا لله يرعـانيَ وهـو حسـبي !

* * *

يـا رب أنـت الواحـد القهـار   وأنـت ذو الرحمـة والجبّـار
تفجّـرت مـن نـورك الأنـوار   وقَصُرت عـن كنهـك الأفكـار

* * *

يـا رب لا نقـض لمـا أبرمْتَـا !   فَرَضِّـني ربّ بمـا حكمْتَـا
لعلـني أجهـل مـا عَلِمْتَـا   مـن صـالح لي في الـذي أقمتـا

* * *

يـارب ألهمـني العـزاء الشـافي !   واضمِد جروحي منك بالألطـاف
وآتِـني عزائـم الأسـلاف   فـأنت لي الكـافي ونعـم الكـافي

* * *

وأولـني مُنـاي في الدارَيْـن   و(حُسنًا) اجمـع بينهـا وبيـني
في دار خلْـد بـين جنتَيْـنِ   أقْـررْ بـذاك عينهـا وعيـني

* *

يـا رب وارفـع (أمّـة الإسلام)   واقـذِفْ بهـا إلى المقـام السـامي
حتـى تُـرى خفّاقـة الأعـلام   علـى جميـع الكـون بالسـلام

* * *

ووحّد (العُرْب) ، فإن الوحده تحيـــي لهـــا ماضِيَهـــا وعهـــدَه
تعيـد بعـــد الانـــدرَاس مجـــدَه وا لله لا يُخلـــف يومًـــا وعـــده

* * *

وانظر إلى (الأحقاف) بالرعايـةْ وأولِهـــا بفضلـــك العنايـــةْ
بـــالعلم والأخـــلاق والهدايـــةْ فَجَـلٌ عنهـا الجهــل والعَمَايـــةْ

* * *

وصـل يـا رب علـى المختــار خــير الأنــام ســيد الأبــرار
وآلـــه وصحبـــه الأطهـــار مـا طلعت كواكـب الأسـحار

* * *

هذا وقوفي خاشعًا بـين يديـك ! وتائبًـا مـن كـل آثـامي إليـك
متّكلا في كـل أحـوالي عليـك لبّيـك يـا رب الجـلال لبّيـك !

* * *

(ســتار الختـــام)

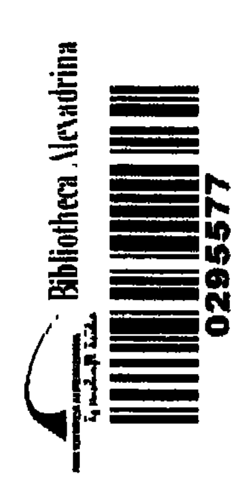
للمــؤلف

١ ـ هُمام أو في بلاد الأحقاف
٢ ـ أخناتون ونفرتيتي
٣ ـ سلامة القس
٤ ـ واإسلاماه
٥ ـ قصر الهودج
٦ ـ الفرعون الموعود
٧ ـ شيلوك الجديد
٨ ـ عودة الفردوس
٩ ـ روميو وجوليت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل)
١٠ ـ سر الحاكم بأمر الله
١١ ـ ليلة النهر
١٢ ـ السلسلة والغفران
١٣ ـ الثائر الأحمر
١٤ ـ الدكتور حازم
١٥ ـ أبو دلامة (مضحك الخليفة)
١٦ ـ مسمار جحا
١٧ ـ مسرح السياسية
١٨ ـ مأساة وأديب
١٩ ـ سر شهر زاد

٢٠ ـ سيرة شجاع
٢١ ـ شعب الله المختار
٢٢ ـ إمبراطورية في المزاد
٢٣ ـ الدنيا فوضى
٢٤ ـ أوزوريس
٢٥ ـ فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية (محاضرات)
٢٦ ـ دار ابن لقمان
٢٧ ـ قطط وفيران
٢٨ ـ إله إسرائيل
٢٩ ـ هاروت وماروت
٣٠ ـ الزعيم الأوحد
٣١ ـ جلفدان هانم
٣٢ ـ قاب قوسين
٣٣ ـ الفلاح الفصيح
٣٤ ـ ملحمة عمر (١٨ جزءا)
٣٥ ـ حبل الغسيل
٣٦ ـ هكذا لقي الله عمر

رقم الإيداع : ١٠٢٢١ / ١٩٩٧
الترقيم الدولى : 4 - 1112 - 11 - 977

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة



دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

الثمن ٣٠٠ قرش